﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الإصلاح

لا يُصلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّة إلاّ مَا أَصْلَحَ أَوَّلَـهَا

53

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

السنة العاشرة. العدد الثالث والخمسون: ربيع الأول/ربيع الآخر 1438هـ الموافق لـ نوفمبر/ديسمبر 2016م

بين
العجز والجزع

الاحتساب في الدعوة إلى الله

عمر الحاج مسعود



العقيدة الصحيحة صمام أمان من التطرف والفتن

د. أحمد المزروعي

أفيكة غريبة القاديانية الأحمدية

نجيب جلواح

السعر: 200دج رقم الإيداع القانوني: 3623-2006 ISSN: 1112-6825

تجدون في هذا العدد القسيمة السنوية للاشتراك في مجلة الإصلاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَستعينُه ونَستَغْفِرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء].

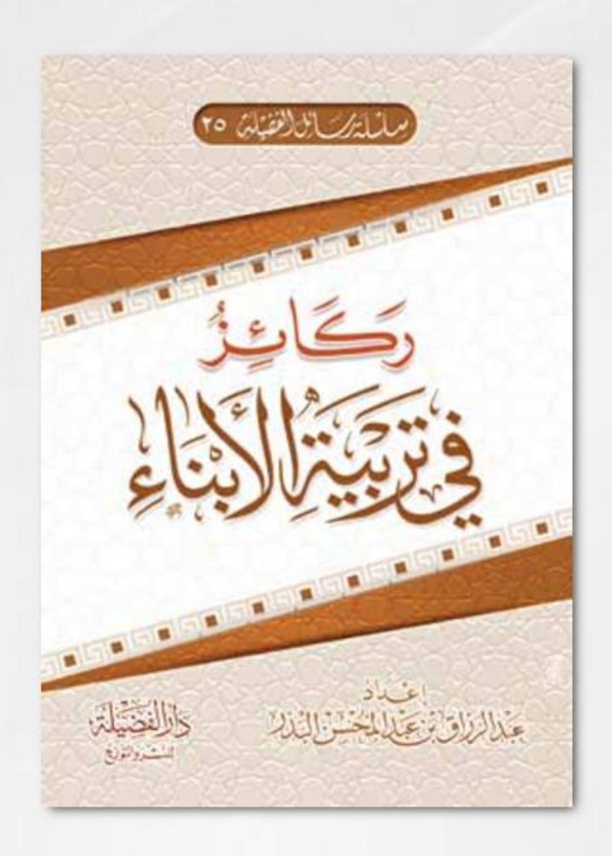
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

■■■

صدر حديثا...







مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

المدير
توفيق عمروني

رئيس التحرير
عز الدين رمضاني

أعضاء التحرير:
عمر الحاج مسعود
عثمان عيسي
نجيب جلواح
د.رضا بوشامة

التصميم والإخراج الفني:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الطباعة:
مطبعة الديوان

عنوان المجلة:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44) عين النعجة (بئر خادم) ـ الجزائر

الهاتف والفاكس: (023) 52 08 32
(النقال): (0559) 06 99 92
التوزيع (جوال): (0661) 62 53 08

البريد الإلكتروني:
darelfadhila@hotmail.com

الموقع على الشبكة العنكبوتية:
www.rayatalislah.com



مدير المجلة

بين العجز والجزع

إنَّ النَّاظر في أحوال الأمَّة الإسلاميَّة اليوم يَرى كثيرًا ممَّا يُسيئُه ولا يُفرحُه، من صُور ومُشاهد تتألَّم لها القُلوب، وتدمعُ لها المآقي، وتثير في النُّفوس المآسي، لما يُلاقيه المسلمون في بُلدانهم من الفتن والبلايا، ومَن سَلم منهُم منَ القَتل والتَّشريد والإبادَة، فهو مُعرَّضٌ لفتن التَّخريب الفِكري ومُهدَّدٌ بالتَّجويع والتَّأزيم الاقتصَادي.

إنَّ الفردَ المسلم يقفُ أمام هذه الأوضاع المُزرية عاجزًا لا يستَطيعُ دفعَها ولا الانتصَار عليها؛ فهل مع هذا العَجز يُضيفُ إلى عَجْزه جزَعًا وفزَعًا واستسلامًا؛ أم أنَّه منهيٌّ عنه أن يجمَع بينَ هذَيْن الوصفَيْن: العَجز والجَزع؟

فاسمَع شيخَ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ يُجيبُك عن هذا التَّساؤل؛ حيث يقُول: «وكثيرٌ منَ النَّاس إذا رأى المُنكَر أو تغيُّرَ كثير من أحوال الإسلام جزِع وكَلَّ ونَاح كمَا ينُوح أهلُ المصائب، وهُو منهيٌّ عن هذا؛ بل هُو مأمورٌ بالصَّبر والتَّوكُّل والثبات على دين الإسلام، وأن يُؤمنَ بأنَّ الله معَ الَّذين اتَّقوا والَّذينَ هُم مُحسنُون، وأنَّ العاقبةَ للتَّقوى، وأنَّ ما يُصيبُه فهُو بذُنوبه؛ فليَصْبر، إنَّ وعدَ الله حقٌّ، وليَسْتَغْفر لذنبه، وليُسَبِّح بحَمْد ربِّه بالعَشيِّ والإبكَار» [«مجموع الفتاوى» (18/295)].

فيجب أن يدركَ المسلمُ أنَّ بداية العلاج لهذَا الوضع تكونُ بوَضْع اليد على موطن الدَّاء، والدَّاء هو ذنوبه وسيِّئاته الَّتي تُحيط به، فليسَ في قوَّة العَدُوِّ وكيده، ولا في ظُلم الحُكَّام وتعسُّفهم، ولا بسَبَب قلَّة حيلتنا؛ فمَن علمَ هذه الحقيقةَ وأيقنَ بها ـ وإن كان عاجزًا عن دفع الظُّلم عن إخوانه ونُصرتهم ـ فإنَّه سيَأخُذ الأمرَ بجِدٍّ وعزيمَة فيحرصُ على التَّوبة والاستغفَار من ذنوبه، وبه سيَحْيَا مُطمئنًّا عزيزَ النَّفْس، عاليَ الهمَّة ولو عاش في وسط مغمُور بالذِّلَّة والهَوان.

فالعاقل لا يُغرقُ نفسَه في متابعة الماجريَات والأحدَاث المتلاحقَة الَّتي تصدمُ العقلَ، وتحبسُ النَّفسَ، وتورث الإحباطَ، ويجزَع لها القلبُ، وقد يُفقدُه الثقةَ في وعد ربِّه عزَّ وجلَّ، ويجعلَه مضطربًا متحيِّرًا في أمره؛ مع أنَّ الإنسانَ في هذه الحياة بينَ أمرَيْن: أمرٌ يُصابُ به من غَيْر فعله فالحلُّ فيه أن يصبرَ عليه ولا يجزَع منه؛ وأمرٌ يُؤمر بفعله والحلُّ فيه أن يأتي به ويَحرصَ عليْه ويستَعينَ بالله ولا يعجز؛ قَال النَّبيُّ ﷺ: «احرصْ عَلى ما ينفَعُكَ واستَعنْ بالله ولا تعْجزْ».

فالمسلمُ المغلوبُ الَّذي لم ينتَصر لا يُمضي عُمرَه في التَّباكي والنَّوح وإحياء الأحزان، بل يمرُّ إلى ما يَقْدر عليْه منَ العَمل ويأتي به دونَ عَجْز ولا مَلَل مُستَعينًا في ذلك بالله سُبحانه، وأعظمُ هذه الأعمال التَّوبة والاستغفَار الَّتي ينبغي مُلازمَتها كلَّ وقتٍ وكلَّ حينٍ، فهي سبب الإمداد بالخيرات وجلب الانتصارات.



السنة العاشرة ـ العدد الثالث والخمسون:
ربيع الأول ـ ربيع الآخر 1438 / نوفمبر ـ ديسمبر 2016

4

أفيكة غريبة


الطليعة

أفيكة غريبة

20

الاحتساب في الدعوة إلى الله


مسائل منهجية

الاحتساب

في الدعوة إلى الله تعالى



غلاف العدد السابق

قواعد النشر في المجلة

- أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.
- أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.
- أن يحرَّر المقال بأسلوب يحقق الغرض، ولغة بعيدة عن التكلف والتعقيد.
- الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.
- أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.
- ألا يزيد المقال على خمس صفحات.
- أن يذكر صاحب المقال اسمه الكامل وعنوانه ورقم هاتفه، ودرجته العلمية إن وجدت.
- المقالات أو البحوث التي لا تنشر لا تردُّ لأصحابها.

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44)

عين النعجة (بئر خادم). الجزائر

الفاكس: 32 08 52 (023)

البريد الإلكتروني:

darelfadhila@hotmail.com

سعر النسخة: (200 دج)

الاشتراك السنوي: (1500 دج)

أَفِيكَةٌ غَرِيبَةٌ

التحرير

ممَّا دأب عليه المخالفون للحقِّ في كلِّ زمان ومكان، منذُ زمن الأنبياء عليهم السلام إلى يومنا هذا، أنَّهم ـ إضافةً إلى ردِّهم الحقَّ وعدم قَبوله ـ؛ يتفنَّنون في تشويهه والطَّعن في حامليه ودعاته، ورميهم بالإفك والبهتان، وقصدهم في ذلك تنفير الأتباع من هذا الحقِّ ومحاولة صدِّهم بهذَا التَّخذيل؛ حتَّى لا يُصغُوا إليه ولا يسمَعوا حجَّتَه، وأعظم من ابتُلي بذلكَ الأنبياءُ عليهم السلام من أقوامهم، ففي السِّيرة النَّبويَّة أنَّ رسُولَ الله ﷺ لبثَ عشْرَ سنينَ يتبَعُ الحاجَّ في منازِلِهِمْ في المواسم بمجَنَّةَ وعُكَاظ ومنازِلِهِمْ بمِنًى: «مَنْ يُؤْوِينِي ويَنْصُرُنِي حتَّى أُبَلِّغَ رِسَالات ربِّي ولهُ الجنَّةُ؟» فلا يجدُ أحدًا يُؤْويه ولا يَنْصُرُهُ، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ يرحَلُ صاحبُهُ من مِصْرَ واليمَن فيَأْتيه قومُهُ أو ذَوُو رحمه، فيَقُولُون: «احذَرْ فَتَى قُرَيْش لا يَفْتِنَكَ، يَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله، يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بأَصَابِعِهِمْ» [«دلائل النبوة» للبيهقي (2/442)].

فلا يتركُون الفُرصَة للقَادم إلى مكَّة حتَّى يسمَعَ الحجَّةَ أو يقتربَ منَ النَّبيِّ ﷺ، والطَّريقةُ نفسُها كانَ انتَهجها فرعون في ردِّ دعوةِ موسَى عليه السلام، فكانَ لا يتَوانى عن تشويهه والكَذب عليه وإشاعة ذلكَ في قومِه حتَّى ينفرُوا منهُ ولا يتبعُوا دعوتَه؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [سُورَةُ غَافِر] فيَخرج فرعون على قومه في صورة ناصح مُشفق خائف على دينِ أمَّته من أن يدخُلَه التَّبديلُ والتَّغييرُ، وصَدقَ العَلاَّمَة السَّعدي رحمه الله في قوله: «وهـذَا من أعجَب ما يكُون، أن يكُونَ شرُّ الخَلْق ينصَحُ النَّاسَ عن اتِّباع خَيْرِ الخَلْق؛ هذَا منَ التَّمويه والتَّرويج الَّذي لا يدخُل إلاَّ عقْلَ مَن قَال الله فيهم: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُف]».

فغُرورُ رادِّ الحقِّ وقلَّة تدبُّره في الأمور يظنُّ أنَّ كلَّ ما خالفَ دينَه وما هُو عليه منَ الرُّسوم والعَوائد إنَّما هُو فسادٌ ينبغي قطعُه واستئصالُه، ولهذا لا يتوقَّف عن ردِّ الحقِّ فحَسْب؛ بل يقفُ في وجه مَن يدعُو إليه ويصُدُّ النَّاسَ عنه مُحذِّرًا ومُنفِّرًا ومُشوِّهًا لصُورة هذَا الدَّاعي ولو بتَلْفيقِ التُّهَم والكَذب الصَّريح؛ قَال الله تعَالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَاف]؛ فانظرْ إلى هذا التَّمويه على ضِعاف العُقُول يُخوِّفُهم بأنَّ قصدَ موسَى عليه السلام بدعوته هو التَّوصُّل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجتَهدوا في مُعادَاته ومُحاربَته؛ فإنَّ من أخوَف ما يتَوقَّعُه المرءُ أن يُجلى عن وطنه ويُبعَد عن أرضه.

ولم يخلُ زمانٌ كانَ لدُعاة الحقِّ فيه صولةٌ إلاَّ ووُجد معَهُم حُماةُ الباطل يرمونَهم بالبُهتان ويختلقون في حقِّهم الأكاذيب؛ فهذا شيخُ الإسلام ابن تيمية صار من أشهر خصال أعدائه تزويرُ الكُتُبِ عليه، ففي «مجموع الفتاوى» (3/ 161) يقُول رحمه الله عن نفسه: «وكانَ قَد بلغَني أنَّه زُوِّر عليَّ كتابٌ إلى الأمير رُكن الدِّين الجاشنكير أستاذ دار السُّلطان يتضَمَّنُ ذكرَ عقيدَة محرَّفَة ولم أعلَمْ بحَقيقَته؛ لكن علمتُ أنَّه مكذُوبٌ»، وقال أيضًا في معرض الحديث عن مناظرته حول «العقيدة الواسطيَّة» كما في «مجموع الفتاوى» (3/ 162): «أنا أعلَمُ أنَّ أقوامًا يكذبُونَ عليَّ؛ كَما قَد كذَبُوا عليَّ غيْرَ مرَّة».

وقَال تلميذُه ابنُ عبد الهادي في ترجمته ـ في سياق حديثه عن مسألَة شدِّ الرِّحال ـ في «العُقود الدُّرِّيَّة» (ص344): «وعَظُم التَّشنيعُ على الشَّيْخ وحُرِّف عليْه، ونُقل عنهُ مَا لم يقُلْهُ وحصل فتْنَةٌ طَار شرَرُها في الآفَاق...».

وتقف السَّلفيَّةُ اليومَ أيضًا نفسَ الموقف الَّذي وقفتْه الدَّعوة الحقُّ عبرَ

تاريخها، فيرميها خصومُها بأنَّها تُضادُّ المرجعيَّةَ الدِّينيَّةَ، وأنَّها فكرٌ وافدٌ، وأنَّها خطرٌ على البلد وتهدِّد أمنَه، وأنَّها تدعو للطَّائفيَّة والتَّفريق، وغيرها من التُّهم الباطلة، وأحدَثُ هذه الأكاذيب الَّتي أنتجتها مخابرُ الحركيِّين خصوم الدَّعوة السَّلفيَّة أفيكةٌ غريبةٌ وكذبةٌ عجيبَةٌ، وهو أنَّ منهجَ السَّلفيِّين منهجٌ عُدوانيٌّ يدعُو إلى قَتل واغتيَال مُعارضيه وإراقة دماء مُخالفيه، ولا أظنُّ مُنصفًا يعرفُ أدبيَّات الدَّعوة السَّلفيَّة ومنظُومتَها الفكريَّةَ والعقَديَّةَ ويقرأ ما يكتبُه ويقرِّرُه علماؤُها وأعلامُها في مؤلَّفاتهم ومُحاضراتهم، ثمَّ يَخلُص إلى مثل هذا الهُراء؛ بل يصحُّ أن يُصاحَ في وجه قائل ذلك، ويُقال: يا للأفيكَة!! ويا للعَضيهَة!! ويا للبَهيتَة!!

ولعلَّك لو فتَّشتَ في كتب العلم والتَّاريخ فلن تعثُرَ فيه على أنَّ عَلَمًا من أهل السُّنَّة دعا إلى اغتيال أحد من أهل الأهواء والبدع على كثرَتهم وتنوُّعهم؛ ولكنَّك ستجد في مقابل ذلك أنَّ أهلَ السُّنَّة كثيرًا ما عانوا من وشَاية أهل الانحراف إلى السَّلاطين والحُكَّام؛ بدءًا من زمن الإمام أحمد وما فعله معه القاضي المعتزلي أحمد ابن أبي دؤاد، إلى زمن شيخ الإسلام ابن تيميَّة وما قاسَاه من خصومه من الإهانة والسِّجن حتَّى إنَّه لقيَ ربَّه وهو سجينٌ؛ ثمَّ إلى زمن الإمام ابن باديس الَّذي يَعرفُ القاصي والدَّاني أنَّ ما واجهَهُ به أهلُ البدع والطُّرُق كانَ أشَدَّ ممَّا جابَهَه به المُستَعمرُ الفَرنسيُّ الغَاشمُ، حتَّى إنَّهم أرسلوا إليه من حاول اغتيالَه إلاَّ أنَّ الله سلَّمه من مكيدتهم الخائبة؛ وأسوَتُهم في ذلك المنافقون الَّذين حاولوا اغتيالَ رسول الله ﷺ بالعَقبة عند عودته من غزوَة تَبُوك.

وهذا حالُ أهل البدع والأهواء يُحاولون اغتيالَ السُّنَّة بالطَّعن في أهلها وحُماتها سبًّا وشتمًا وإهانةً؛ وبالإذاية الجسديَّة، أو بالسِّعاية والوشاية عند الحكَّام والمسؤولين؛ وهذا صنيعُ خسيس الهمَّة، ضعيف الحُجَّة.

أمَّا أهلُ السُّنَّة السَّلفيُّون، فليس من طريقتهم ولا من منهجهم الدَّعوةُ إلى الاغتيالات والمؤامرات والدَّسائس الدَّنيئة، بل دَيْدَنُهم العلمُ والتَّعلُّمُ وتعليمُ الخلق، ومُواجهةُ الأفكار الرَّديَّة والمذاهب الغويَّة بدلائل الكتاب والسُّنَّة على فهوم السَّلف السَّويَّة؛ ليس شأنهم كشأن هؤلاء أبدًا.

فإنَّه منَ الكذب المكشوف أن يُحاول المبطلون إلصاقَ هذه الدَّعوى السَّاقطة بالدَّعوة السَّلفيَّة، ويهوِّلون بها في كلِّ ناحية في وسائل الإعلام، ويبذلون الجهدَ لإقناع النَّاس بهَا، فيختَصرون الدَّعوةَ السَّلفيَّةَ الرَّحيبةَ في تصرُّف طائش لشَباب متهوِّر، أو في عبارة مُوهمَة لعالم فاضل، أو في زلَّة لشَيخ منَ المشايخ؛ هذه أسلحةُ القوم الَّتي يُجابهُون بها السَّلفيِّين، بعدَما عجَزُوا عن مُقارعتهم بالعلم والحُجَّة والبيَان، فلَم يجدوا من سبيل لصَدِّ الامتداد السَّلفي إلاَّ بمثل هذه الأسلحَة الكَليلة والأدوات المفلُولَة، ومن أدواتهم أيضًا صبغُهم للسَّلفيِّين بألقاب غريبَة، فبعدما كانوا يلقِّبونهم «باديسيِّين»، و«عُقبيِّين» نسبةً إلى الشَّيخيْن ابن باديس والعُقبي، وبعدما لقَّبوهم في فترة أخرى «ألبانيِّين» نسبةً إلى الشَّيخ الألبَاني، وبعدها «جاميِّين» نسبةً إلى الشَّيخ محمَّد أمان الجامي، وصلوا الآن إلى لقب حديث وهو «مَدْخليِّين» نسبةً إلى الشَّيخ ربيع المدخَلي، ورحم الله الشَّيخَ الإبراهيمي حين قال: «ولكنَّ القَوم يصبغُونَنا في كلِّ يوم بصبْغَة، ويسَمُّوننا في كلِّ لحظَة بسمَة، وهُم يتَّخذون من هذه الأسمَاء المختَلفة أدوات لتَنْفير العامَّة منَّا وإبعَادها عنَّا، وأسلحَةً يُقاتلُوننا بهَا وكلَّما كلَّت أداةٌ جاءوا بأدَاة، ومن طَبيعَة هذه الأسلحَة الكَلال وعدمُ الغَناء» [«الآثار» (1/ 123)].

فالعبرةُ ـ يا إخواننا ـ بالحقَائق والمعَاني لا بالأسمَاء والمبَاني؛ وممَّا تعلَّمنَاه جميعًا أن «اعْرف الحَقَّ تَعرفْ أهلَه، إنَّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرِّجال، وإنَّما الرِّجالُ يُعرفُون بالحقِّ»؛ فالدَّعوةُ السَّلفيَّةُ لم يَعُدْ خافيًا على أحد أنَّها دعوةُ علم وسلم وأمن ومُهادنة؛ ومن أشدِّها بُعدًا عن أسلوب العُنف والإرهاب، وقَد شهد المُنصفُون من أهل الشَّرق والغَرب أنَّ من أهمِّ أسباب عزُوف شباب الجزائر عن الالتحاق بتنظيم «داعش» هو انتشارُ الدَّعوة السَّلفيَّة في أوساطه، وامتثالُه لنصائح وتوجيهات عُلمائها ومشايخها؛ لذا كان من مُستَبْشَع الحُكم أن تُجحَدَ هذه الحقيقَةُ، ويُرادَ ترويجُ ضدِّها من الأضاليل، ويُنسبَ السَّلفيُّون إلى منهج الثَّورة والتَّهييج، وأنَّهم خطر جديدٌ يهدِّدُ أمنَ الأوطان، وسلامةَ البلدان؛ ونحنُ نقول: أبينُوا لنَا أينَ عثرتُم على هذا الَّذي تزعُمُون في كلام علمَاء السَّلفيَّة وأعيانها وكتاباتهم صريحًا أو تلميحًا إن كنتُم صادقين؟ فإنَّ الغالبَ على السَّلفيِّين الاشتغالُ بمسائل العلم ودلائله، وهو ما يؤهِّلُهم أن يكونُوا دعاةَ إصلاح في الأرض لا دُعاةَ إفساد فيها؛ فهُم بعيدون كلَّ البُعد عمَّا تدَّعون من الإفك والبُهتان؛ وأمَّا أن يُسيء سلفيٌّ في مشرق الأرض أو مغربها؛ فيُحمَّل السَّلفيُّون كلُّهم وزرَه، فهذا عينُ الظُّلم والبَغي الَّذي لا يحبُّه الله ولا يرتَضيه؛ والله المستعان.



في أخطاء الاستشهاد بآي القرآن (10)

عز الدين رمضاني
رئيس التحرير



من آيات القرآن العزيز الّتي يكثر بها الاستشهاد في مواضيع معيَّنة[1]، قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وهذه الآية ممَّا يُستدلُّ به على أنَّ كلَّ شيء ممَّا خلقه الله يحيا بالماء.

❋ ❋ ❋

■ **وجه الخطأ:**

هو أنَّ الاستدلال بهذه الآية على أنَّ المراد بالماء في الآية هو الماء المعروف ماء السَّماء.



(1) واتَّخذها بعضهم شعارًا يُعلَّق على الموارد المائيَّة كالسُّدود وعناصر المياه، وعلى أغلفة المجلاَّت والدَّوريَّات المتخصِّصة في عالم البيئة والماء والزِّراعة، وعند عقد الدَّورات والملتقيات المهمَّة بعنصر الماء.

■ **وحصر التَّفسير في هذا المعنى فقط خطأ، وذلك من عدَّة وجوه:**

○ **الأوَّل:** أنَّ المعنى الصَّحيح الَّذي يتعيَّن الأخذُ به في الآية هو أنَّ كلَّ حيٍّ فأصله من الماء الَّذي هو المني: مادَّةُ خلق الإنسان والحيوان وكلِّ ما يدبُّ على الأرض، وعلى هذا فالآية في معناها مطابقة للمعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45]، والمقصود بالماء في هذه الآية النُّطفة[2].

○○○

○ **الثَّاني:** أنَّه قولُ غالبيَّة المفسِّرين لما نقله الواحدي في «البسيط» (5/ 95) بعد ذكره لقول من قال: إنَّ المراد بالماء في الآية هو ماءُ السَّماء، يعني: أنَّه سببٌ لحياة كلِّ شيء، وتعقَّبه بقوله: «وهذا قول قد حُكي، وتحتمله دلالة الآية، والمفسِّرون على قول آخر، قال قتادة: كلُّ شيء حيٌّ خُلق من الماء، وقال أبو العالية في هذه الآية يعني: النُّطفة، قال المفسِّرون: إنَّ كلَّ شيء حيٍّ فهو مخلوق من الماء كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45].

وقال البغويُّ في «معالم التَّنزيل» (3/ 157) - بعد اختياره القول بأنَّ الماء الَّذي بسببه صيَّر الله كلَّ شيء حيٍّ هو ماء السَّماء -: «والمفسِّرون يقولون يعني أنَّ كلَّ شيء فهو مخلوق من الماء، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾، قال أبو العالية: «النُّطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو من غير الماء؟ قيل: هذه على وجه التَّكثير، يعني أنَّ أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء أو بقاؤها من الماء».

وقال القنّوجي في «فتح البيان» (8/ 322) بعد ذكره للقول الأوَّل: وهو ماءُ السَّماء: «وقيل المراد بالماء هنا نُطفة الرَّجل، وبه قال أبو العالية وأكثر المفسِّرين»[3].

○○○

○ **الثَّالث:** أنَّ بعض من اشتهر بالتَّفسير اقتصر على أنَّ المراد بالماء في الآية النُّطفة، منهم:

1. أبو العالية: وعبارته «نُطفة الرَّجل»[4].

2. قُطرب: وعبارته: «وجعلنا من ماء الصُّلب كلَّ شيء حيّ»[5].

3. الثعلبي: وعبارته: «يعني أنَّ كلَّ شيء حيّ فإنَّه خُلق من الماء، نظيره قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾»[6]، والمراد بالماء في آية النُّور على ما قاله جلُّ المفسِّرين: المني، وحُكي عن ابن زيد كما في تفسير «ابن أبي حاتم» (57/7)، وحكاه الماوردي عن السُّدِّي (114/4)، واقتصر عليه الطَّبري في «جامع البيان» (155/18).

4. ابنُ جُزي الكلبي قال: «أي خلقنا من الماء كلَّ حيوان، ويعني بالماء المني»[7].

5. الشَّوكاني ولم ينقل سوى قول أبي العالية[8].

6. ابن عثيمين وسيأتي ذكر كلامه بالتَّفصيل.

○○○

○ **الرَّابع:** عدم اعتداد بعض المفسِّرين بقول من فسَّر الماء في الآية بالماء المعروف، بل جعلوه غلطًا وتحريفًا للقرآن.

قال الزَّركشي في «البرهان لعلوم القرآن» (198/2): «وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، فقد قيل: إنَّ حياة كلِّ شيء إنَّما هو بالماء، قال ابن درستويه وهذا غير جائز في العربيَّة؛ لأنَّه لو كان المعنى كذلك لم يكن «حيّ» مجرورًا ولكان منصوبًا، وإنَّما «حيّ» صفةٌ لشيء، ومعنى الآية: خلق الخلق من الماء، ويدلُّ له قوله في موضع آخر: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45]».

وقال ابن عثيمين في «فتح ذي الجلال والإكرام» (560/1): «وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ فهو مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ يعني كلَّ شيء حيّ فأصله الماء، والعوامّ يؤوِّلون الآية على معنًى آخر، يقولون: إنَّ كلَّ شيء يحيا بالماء وهذا غلط وتحريف للقرآن؛ لأنَّ الله لو أراد ذلك قال: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيء حيًّا﴾ يعني: صيَّرناه حيًّا بالماء»، وقد جاء في بعض القراءات: وجعلنا من الماء كلَّ شيء حيًّا بالنَّصب على أنَّه صفة «كلّ» أو مفعول ثان، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» (348/5): إلى معاذ القارئ وابن أبي عبلة وحُميد بن قيس.

○○○

○ **الخامس:** أنَّ من القواعد في التَّفسير الَّتي أوردها المفسِّرون قاعدة: «قد يكون اللَّفظ محتملاً لمعنيين في موضع ويُعيَّنُ في موضع آخر»[9]، وبعضهم

---

(2) انظر: «جامع البيان» (17/ 340)، «معالم التَّنزيل» (3/308)، «التَّفسير البسيط» (16/ 329).

(3) عكس ابن الجوزي في «تفسيره» (5/ 248) القول: فنسب للأكثرين أنَّ الماءَ المراد هو الماء المعروف، واعتبرتُ قولَ غيره لكثرتهم وكونهم مُتأخِّرين عنه.

(4) «تفسير ابن أبي حاتم» (8/ 2451)، ونسبه السُّيوطي في «الدُّر المنثور» (10/ 288) لعبد بن حميد، وابن المنذر والبيهقي.

(5) «النُّكت والعيون» للماوردي (3/ 444).

(6) «الكشف والبيان» (18/ 120).

(7) «التَّسهيل في علوم التَّنزيل» (2/ 426).

(8) «فتح القدير» (3/ 406).

(9) انظر: «تفصيل القاعدة في البرهان» للزركشي (2/ 197 - 198)، وجعل من أمثلتها آية الأنبياء هذه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

يُعبِّر عنها بقولهم: «عند تعارض الأقوال في معنى الآية يُقدَّم منها ما أيَّدته آيات أخرى»[10].

وبقولهم: «القول الَّذي تُؤيِّده آيات قرآنيَّة مقدَّم على ما عُدم ذلك»[11]، وهذه القاعدة تتفرَّع عن أصل عام، وهو أنَّ القرآن ينقسم إلى ما هو بيِّن بنفسه وإلى ما ليس ببيِّن في نفسه فيحتاج إلى بيان، وبيانه إمَّا فيه في آية أخرى. كما في الآية الَّتي هي محلُّ المثال. أو في السنَّة لأنَّها موضوعة للبيان[12].

ولفظ الماء الوارد في آية: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ مُحتمل للمعنيين المعروفين، أحدهما: الماء المعروف، وهو المراد عند الإطلاق الَّذي جعله الله سببًا لحياة كلِّ شيء، والثَّاني: المني لقوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧﴾ [سُورَةُ الطَّارِقِ]، ولقوله ﷺ: «المَاءُ مِنَ المَاءِ»[13]، فالماء الأوَّل ماءُ الاغتسال، والماء الثَّاني المني.

ooo

○ السَّادس: أنَّ من الرُّدود الوجيهة على من استبعد أنَّ المراد بالماء النُّطفة الَّتي تُخلق منها المخلوقات بحجَّة أنَّ النُّطفة لا تُسمَّى ماءً مُطلقًا بل مقيَّدًا لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦﴾ [سُورَةُ الطَّارِقِ]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ [سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ]، وأنَّ من الحيوانات ما يتولَّد من غير نُطفة كدود الخلِّ والفاكهة ونحو ذلك، فليس كلُّ حيوان مخلوقًا من نُطفة.

والجواب أنَّ لفظ الماء قد يأتي مطلقًا كما في آية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾ [النُّور: 45]، وفي قوله ﷺ: «الماءُ من الماء» مع التَّسليم أنَّ لفظ «ماء» إذا أُطلق فإنَّما ينصرف إلى الماء الَّذي ينزل من السَّماء وتجري به الينابيع والأنهار، ولا ينصرف اللَّفظ عن ظاهره إلاَّ بقرينة.

وأمَّا قولهم: إنَّ من الحيوانات ما يتولَّد من غير نُطفة فيُجاب عنه بجوابين:

الأوَّل: أنَّه على سبيل التَّكثير، أي أنَّ أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء، وليس كلُّ المخلوقات بدليل أنَّ الجنَّ خُلقوا من نار، والملائكةَ خُلقت من نور وآدمَ خلق من تراب وقد أجاب الرَّازي في «تفسيره» عن هذا الإشكال (164/22) قال: «لقائل أن يقول كيف قال وخلقنا من الماء كلَّ حيوان وقد قال: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [سُورَةُ الحِجۡرِ]، وجاء في الأخبار أنَّ الله تعالى خلق الملائكة من النُّور، وقال تعالى في حقِّ عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾ [المَائِدَة: 110]، وقال في حقِّ آدم: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ [آل عِمۡرَان: 59].

والجواب: اللَّفظ وإن كان عامًّا إلاَّ أنَّ القرينة المخصِّصة قائمة، فإنَّ الدَّليل لابدَّ وأن يكون مُشاهدًا محسوسًا ليكون أقرب إلى المقصود وبهذا الطَّريق تَخرج عنه الملائكة والجنّ وآدم وقصَّة عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لأنَّ الكفَّار لم يروا شيئًا من ذلك»[14].

الثَّاني: أنَّه من العام المخصوص، فالماء الَّذي خُلق منه كلُّ شيء هو النُّطفة لأنَّ الله خلق جميع الحيوانات الَّتي تولد عن طريق التَّناسل من النُّطف[15]، و«ال» الجنسيَّة كما يقول النُّحاة على ثلاثة أنواع منها: الَّتي لبيان الحقيقة والماهية، وضابطها أنَّها الَّتي لا تخلفها «كلّ» مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾، فلا يصحُّ أن نقول: «كلَّ ماء»[16] بل هو ماء مخصوص، ثمَّ من النَّاحية العلميَّة الحديثة تؤكِّد دراسة الكمياء الحيويَّة وقوع التَّكاثر الجنسي في جميع الكائنات الحيوانيَّة والنَّباتيَّة وهي خاضعة لهذه العموميَّة، والعلم عند الله تعالى.

وصلَّى الله على نبيِّه محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❋ ❋ ❋



(10) «دراسات في قواعد التَّرجيح المتعلِّقة بالنَّص القرآني» لعبد الله الرومي (1/ 314).

(11) «قواعد التَّرجيح عند المفسِّرين» لحسين الحربي (1/ 381).

(12) «البرهان» للزركشي (1/ 381).

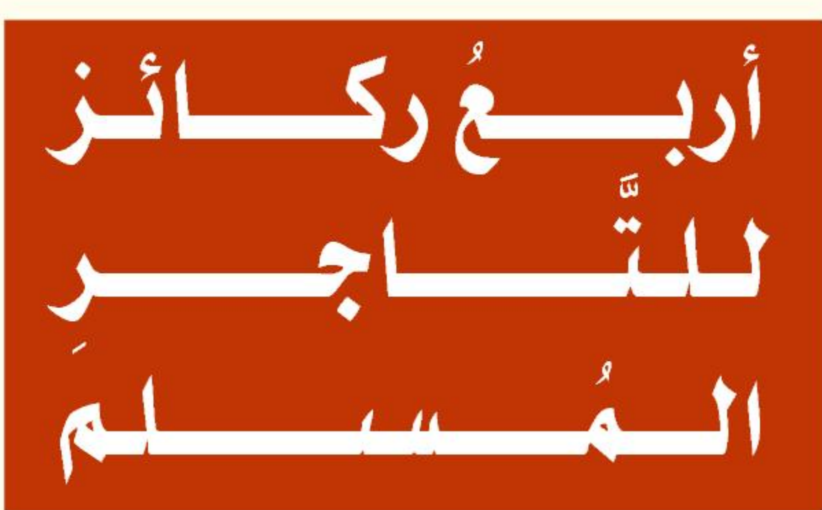
(13) مسلم (343).

(14) مقصوده الإشارة إلى رأس الآية: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ...﴾.

(15) «أضواء البيان» (4/ 705).

(16) انظر: «الإتقان» (2/ 186)، و«معترك الأقران» (2/ 57)، وكلاهما للسُّيوطي.





أربعُ ركائز للتَّاجرِ المُسلمِ

أ.د. عبد الرزَّاق بن عبد المحسن البدر
المدرس بالمسجد النبوي

روى الإمام أحمد في «مسنده» (6652) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»[1].

❋ ❋ ❋

هذا حديث عظيم جدير بكلِّ تاجر مسلم أن يتأمَّله وأن يكون نُصب عينه، بل ينبغي أن يُشاع بين التجَّار وفي المحلاَّت التِّجاريَّة وبين الشَّركات حتَّى يُصَحِّحَ لمن اشتغل بالتِّجارة مساره وطريقته في البيع والشِّراء والتَّعامل، وذلك بأن تكون هذه الأمور الأربعة أُسسًا ثابتةً عنده لا يساوم فيها مهما كان الرِّبح، ففي الحديث معالجة حكيمة وعظيمة جدًّا للفساد الكبير الَّذي يحصل في أخلاق النَّاس عند الإقبال على الدُّنيا وحطامها والتِّجارة واكتساب المال وطلب الأرباح؛ وأنَّه لا سلامة من ذلك إلاَّ بأن يحافظ التَّاجر على هذه الأسس الأربعة المذكورة في الحديث، ويحرص على أن لا يخرم منها شيئًا، ويجعلها بمثابة الرَّكائز الَّتي لا يقبل أن تضيع، ثمَّ هو لا يبالي إن فاته شيء من الدُّنيا في سبيل محافظته على هذه الرَّكائز، حتَّى وإن كان بين يديه مكاسب كبيرة وأرباح كثيرة، فإنَّها لا تحطِّم شيئًا من هذه الأسس؛ مستحضرًا دومًا قول النَّبيِّ ﷺ: «فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا»، فهو غير مبال بما يفوته من الدُّنيا في سبيل محافظته وتمسُّكه بهذه الخلال الجليلة والخصال العظيمة المذكورة في الحديث.

والإنسان يُمتَحن امتحانًا شديدًا في هذه الأمور الأربعة عندما يدخل مجال التِّجارة؛ فأحيانًا تعرض له أرباح كثيرة مغرية جدًّا لكنَّها تحتاج منه إلى أن يكذب أو أن يغش ونحو ذلك، فيدخل في مساومة مع نفسه، هل يُحصِّل هذا الرِّبح بمثل هذه المسالك؟ أم يقول كما دلَّ الحديث: لا عليَّ ما فاتني من الدُّنيا، ولْتبقَ لي هذه الأسس؟ حتَّى لو كان في ظاهر الأمر أنَّه لن يربح، وأنَّه يخسر الصَّفقة أو التِّجارة أو يفوته شيء من الأرباح والمكاسب، فإنَّ الله سبحانه تعالى يعوِّضه خيرًا؛ لأنَّ الرِّزق والفضل بيده سبحانه وتعالى.

ooo

---

[1] صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (733).

فقول النَّبيِّ ﷺ: «فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا» يعدُّ ضمانًا للتَّاجر؛ أي فلا تأسَ على ما فات من الرِّبح وإن كبر ولا تأسف، فإنَّك في خير وغنيمة حتَّى وإن فاتك هذا المال. ولك العوض المبارك من الله، ولهذا ينبغي على كلِّ مَنْ يُقدِم على تجارة أن يتنبه لهذه الأسس الأربعة العظيمة، وأن تكون ثابتة عنده:

◎ الأوَّل: «حِفْظُ أَمَانَةٍ»؛ أي هو أمين في معاملاته؛ لا يغش، ولا يخدع، ولا يمكر، أمينٌ في حفظ حقوق النَّاس، وفي إعادة أموالهم، فلا يضيع حقوقهم بل يرعى للأمانة حقَّها. وقد يبتلى الإنسان عندما يدخل باب التِّجارة ويُمتحن؛ هل يحافظ على الأمانة؟ أو يضيِّعها في سبيل أن يُحصِّل مالاً أو يُحصِّل شيئًا من حطام الدُّنيا؟ فكثير من النَّاس يسقط في هذا الامتحان ويضيِّع الأمانة في سبيل أن يكسب مالاً أو عرضًا من عرض الدُّنيا ومتاعها الزَّائل، ومن النَّاس من يتعامل بالأمانة في حدودٍ ضيِّقة وفي مصالحَ محدودة، فهو يتعامل بالأمانة في حدود من يعاملُه بها جزاءً له من جنسِ عمله، فإذا وجد أمينًا عامَلَه بالأمانة، وإذا وجد خائنًا عاملَه بالخيانَة، وليس هذا شأنُ المؤمن، ففي الترمذي (1264) وغيره بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلى مَن ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَك»، فالأمانة مطلوبة في كلِّ وقتٍ وحين، وفي جميع الأحوال، وهي ممدوحة في جميع أحوالها، والخيانةُ مذمومة وقبيحةٌ في جميع أحوالها، ولهذا قال ﷺ: «وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»؛ نعم طالِبْهُ بحقِّك لكن لا تعاملْه بالخيانة فإنَّ الخيانة مذمومةٌ في كلِّ وقت وحين.

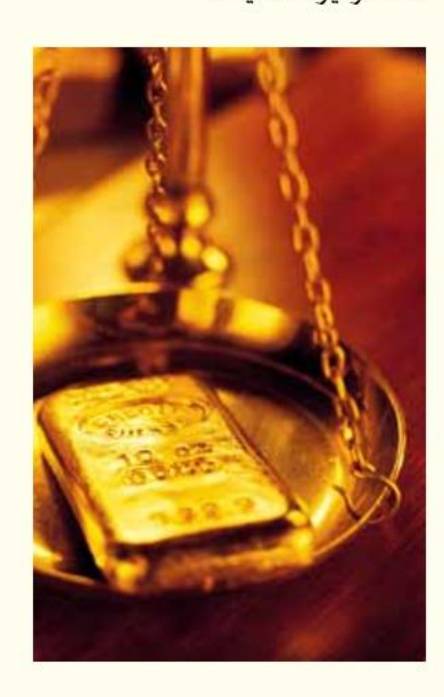
○○○

◎ الثَّاني: «صِدْقُ حَدِيثٍ»؛ أي أنَّه لا يكذب بل يحافظ على الصِّدق، وعندما يُحدِّث النَّاس في بيعه وشرائه دائمًا يكون صادقًا، إذا قال لهم: «هذه البضاعة جديدة» فهو صادق في كلامه، وإذا قال: «هذا النَّوع أصيل» يكون صادقًا في كلامه، وإذا قال: «هذا من اليوم ليس من الأمس» يكون صادقًا في كلامه، وهو في نفسه يقول: «ماذا يغنيني إذا كسبت من هذا دينارًا ومن ذاك دينارَيْن أو عشرة أو ألفًا أو أكثر وضاع منِّي خُلق الصِّدق وأصبحتُ كذَّابًا؟!»، وقد قال ﷺ: «إيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ»؛ مؤمنًا بأنَّ الرِّزق بيد الله سبحانه وتعالى، وليست الدَّنانير أو الدَّراهم بالَّتي تضيِّع خُلق الصِّدق عنده، لأنَّ الصِّدق أصل ثابت وأساس لا يساوم فيه ولا يضيِّعه.

بينما بعض النَّاس أخلاقيَّاته تَفسُد مع ممارسة البيع والحرص على الدُّنيا والمكاسب فيُبتَلى بصفقات معيَّنة يجد نفسه منساقًا إلى الكذب فيها، بل ربَّما يحلف أيمانًا مغلَّظة، وقد قال ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وذكر منهم: «الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ». فيبيع الصِّدقَ ويصبح كذَّابًا من أجل اكتساب شيء من الدُّنيا ومتاعها الزَّائل ـ والعياذ بالله ـ.

○○○

◎ الثَّالث: «حُسْنُ خَلِيقَةٍ» أي يعامل النَّاس بالأخلاق الحسنة وبالآداب الكريمة، والمشتغل بالتِّجارة والبيع والشِّراء يشاهد من تفاوت أخلاق النَّاس واختلاف طبائعهم، بل ترى سيِّئَ المعاملة منهم شيئًا كثيرًا، وكثرة الاحتكاك بالنَّاس في البيع والشِّراء والمعاملات تؤثِّر على الأخلاق تأثيرًا سلبيًّا إن لم يُحافظ على هذه الرَّكيزة المبيَّنة في هذا الحديث «حُسْنُ الخَلِيقَة»؛ فيصبح التَّاجر حينئذٍ في صراع مع نفسه للمحافظة على حُسن خلقه، لا أن يبيع أخلاقه في السُّوق باحتكاكه بسيِّئ الأخلاق من النَّاس، إذ إنَّ بعض النَّاس بسبب معاشرته لأصنافٍ من النَّاس وحاجته للبيع والتِّجارة يُصبح لعَّانًا طعَّانًا بذيئًا سيِّء الخلق، اكتسب هذا من تجارته وفي معاملته للنَّاس، فضيَّع هذه الخصلة بسبب اقتحامه التِّجارة ودخوله فيها دون محافظةٍ على هذه الرَّكيزة العظيمة.



والتَّاجر المسلم النَّاصح لنفسه لا يجعل التِّجارة واحتكاكه بالنَّاس سببًا لضياع الأخـلاق، ومـاذا يربح الإنسان إذا حصَّل مالاً وفسدت أخلاقه؟! وماذا تغني عنه أمواله وماذا تنفعه إذا فسدت أخلاقه؟!

ooo

◎ الرَّابع: «عِفَّةُ فِي طُعْمَةٍ»:

أي أن يتعفَّف في طعامه وذلك بالحرص على اكتساب الحلال والبُعد عن الحرام والمتشابه، وقد قال ﷺ: «إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ». فهو حريص على عفَّة مطعمه؛ أي الطَّعام العفيف الَّذي ليس فيه حرام وليس فيه شائبة حرام، فإذا كان البيع فيه ربًا، أو غشٌّ، أو تدليس، أو صورة من صور البيوع المحرَّمة في الشَّريعة ابتعد عنه تمامًا؛ لأنَّ من الأصول الثَّابتة عنده عفَّة المطعم، لا يفرِّط فيه، ويبحث عن الرِّبح بحثًا لا ينخرم فيه هذا الأمر.

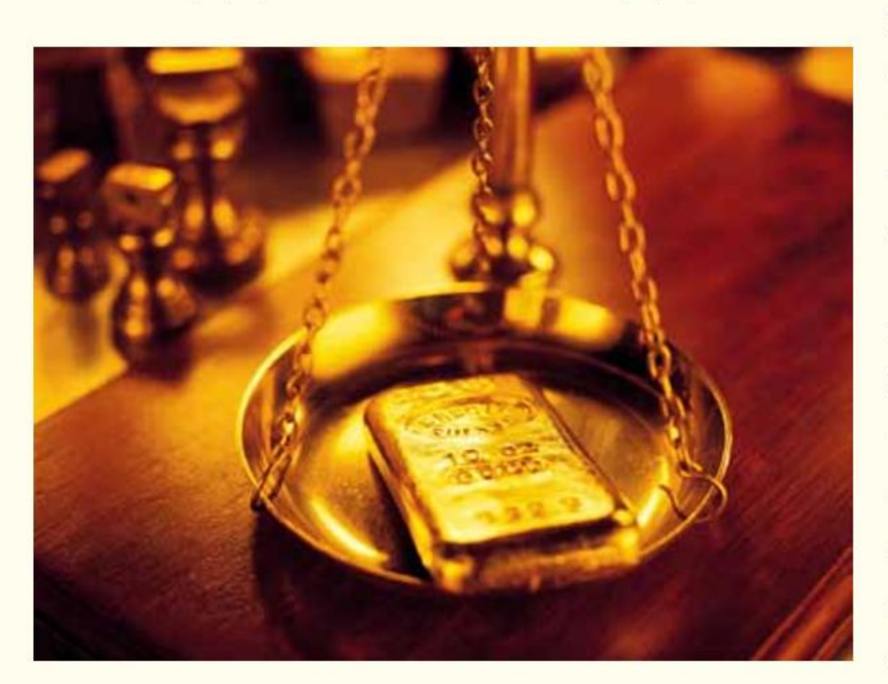
بينما بعض النَّاس يدخل التِّجارة وميدان اكتساب الرِّبح ولا يبالي في قضيَّة عفَّة المطعم، ولا يبالي بالمال الَّذي اكتسبه هل هو من حلال أو من حرام؟ بل بعضهم قاعدته في هذا الباب: «الحلال ما حلَّ بيدك، والحرام ما حُرِمتَ منه»، فالَّذي حلَّ بيَده وصار في حيازته من أيِّ طريق كان هو الحلال، والحرام ما لم تَطُلْهُ يدُه ولم ينله، فلا يبالي بحلال أو حرام، وقد قال ﷺ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»، وذكر ﷺ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» أي: كيف يستجاب لمن كانت هذه حاله؟! ولهذا قال بعض السَّلف: «من سرَّه أنْ يستجيب الله دعوته، فليُطِب طُعمته»، فهذا بابٌ حريٌّ بالتَّاجر المسلم أن يُعنى به تفقُّهًا وفهمًا فلا يُدخلُ على نفسه منَ الطَّعام والشَّراب شيئًا إلاَّ بعد تفقُّه، فإذا كانَ طيِّبًا طَعِمَهُ وشَرِبَه، وإذا كان حرامًا أو مشتبهًا تركه وابتعد عنه؛ لأنَّ منَ الأصول الثَّابتة عنده: طيبَ المطعم، ولا يُساوَم في هذا الأمر، بل هو من الأمور الثَّابتة الرَّاسخة عنده.

❋❋❋

فلتُحافظ - أخي التَّاجر المسلم - على هذه الرَّكائز الأربعة ولا تُضيِّع منها شيئًا ولتحذر من الشَّيطان والنَّفس الأمَّارة بالسُّوء كأن يقال: «دخلت السُّوق بالصِّدق وبضاعتي كسدت، ولا تنفق إلاَّ بضاعةُ الكذَّابين أو الغشَّاشين من حولي، الَّذين يكذبون على النَّاس ويقولون والله هذا جديد ويحلفون»، فهو ميدان تمحيص للأخلاق، ولا يضرُّك ما فاتك من الدُّنيا، نصيحةٌ لك من نبيِّك ﷺ، وسترى عاقبة ذلك في صبرك على السُّنَّة ومحافظتك على وصايا النَّبيِّ الكريم ﷺ. فالعقبى الحميدة لك في الدُّنيا والآخرة.

أعاذك الله - أخي الكريم - من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء، ورزقك المال الحلال والعيش الهنيء إنَّه سميع مجيب، والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

❋❋❋



الاستثناء في الدعاء

من آداب الدُّعاء وأسباب الإجابة عدم الاستثناء في الدُّعاء، ومعناه أنَّ الدَّاعي إذا دعا لنفسه لا يقول: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهمَّ اهدني إن شئت» أو إذا دعا لغيره لا يقول: «الله يهديك إن شاء الله، الله يوفقك إن شاء الله» وأمثال ذلك

د.سعود الدعجان
عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النبويَّة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الدُّعاء أعظم العبادات وأجلُّها وأيسرها؛ قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء هو العبادة»[1].

ويعتبر الدُّعاء من العبادات الَّتي لا يخلو سالكها من الخير قال ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاَّ أعطاهُ الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن تعجل له دعوته، وإمَّا أن يصرف عنه من السُّوء مثلها، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة»[2].

وقد وعد الله من دعاه بالإجابة فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، وقال عز وجل: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

(1) أبو داود (1479) وصحَّحه الألباني.
(2) رواه أحمد (11133)، وصحَّحه الألباني في «التَّرغيب» (1633).

ولكن وعد الله بالإجابة ليس على إطلاقه، بل إنَّه مقيَّد بالأخذ بآداب الدُّعاء وأسباب الإجابة والابتعاد عن موانعها كما جاء تفصيل ذلك في السنَّة الصَّحيحة.

ومن آداب الدُّعاء وأسباب الإجابة عدم الاستثناء في الدُّعاء، ومعناه أنَّ الدَّاعي إذا دعا لنفسه لا يقول: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهمَّ اهدني إن شئت» أو إذا دعا لغيره لا يقول: «الله يهديك إن شاء الله، الله يوفقك إن شاء الله» وأمثال ذلك؛ لنهي النَّبيِّ ﷺ عن ذلك حيث قال: «لا يقولنَّ أحدكم اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهمَّ ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنَّه لا مُكْرِهَ لَهُ».

وفي رواية مسلم: «وليعظِّم الرَّغبة؛ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[3].

وقد حمل بعض العلماء نهي النَّبيِّ ﷺ: «لا يقل أحدكم» على التَّحريم.

قال الحافظ الإمام ابن عبد البرِّ رحمه الله في «التَّمهيد» (19/49): «لا يجوز لأحد أن يقول: اللَّهمَّ اعطني كذا إن شئت...

(3) رواه البخاري (6339)، ومسلم (2679).

لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولأنَّه كلامٌ مستحيلٌ لا وجهَ له؛ لأنَّه لا يَفعَلُ إلاَّ ما يشاء لا شريكَ له».

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المفهم» (29/7): «إنَّما نهى الرَّسول ﷺ عن هذا القول؛ لأنَّه يدلُّ على فتور الرَّغبة، وقلَّة التَّهمُّم بالمطلوب، وكأنَّ هذا القول يتضمَّن: أنَّ هذا المطلوب إن حصل، وإلاَّ اسْتُغْنِيَ عنه، ومن كان هذا حاله لم يُتَحَقَّقْ من حاله الافتقار والاضطرار الَّذي هو روح عبادة الدُّعاء، وكان ذلك دليلاً على قلَّة اكتراثه بذنوبه، وبرحمة ربِّه، وأيضًا فإنَّه لا يكون موقنًا بالإجابة، وقد قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنَّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكتف بالنَّهي عن ذلك حتَّى أمر بنقيضه، فقال: «ليعزم في الدُّعاء» أي: ليجزم في طلبته، وليحقِّق رغبته ويتيقَّن الإجابة، فإنَّه إذا فعل ذلك، دلَّ على علمه بعظيم قدر ما يطلب من المغفرة والرَّحمة، وعلى أنَّه مفتقر لما يطلب مضطر إليه، وقد وعد الله المضطرَّ بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62].

وقوله: «فإنَّ الله صانعٌ ما شاء لا مُكرِهَ له»: إظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرَّحمة بالمشيئة؛ لأنَّ الله لا يضطرُّه إلى فعل شيء دعاءٌ، ولا غيرُه، بل يفعل ما يريد، ويحكم ما يشاء، ولذلك قيَّد الله تعالى الإجابة بالمشيئة في قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: 41]، فلا معنى لاشتراط مشيئته فيما هذا سبيله ...».

وقد عقد الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا في كتاب التَّوحيد بعنوان: (باب قوله: اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت).

قال الشَّيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير العزيز الحميد» في بيان مناسبة الباب لكتاب التَّوحيد: «لمَّا كان العبد لا غناء له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين، بل فقير بالذَّات إلى الغنيِّ بالذَّات، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [سورة فاطر] نهى عن قول ذلك، لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته وذلك مضاد للتَّوحيد».

وقال الشَّيخ صالح آل الشيخ في «شرح فتح المجيد»: «إدخال الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب في كتاب التَّوحيد مناسبته ظاهرة، وهو أنَّ هذا الأدب فيه تعظيم لله سبحانه، وأنَّ تركه ترك لما يجب لله سبحانه من الأدب والتَّوقير...».

ويتلخَّص من كلام أهل العلم: أنَّ العبد السَّائل إذا قال في دعائه: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهمَّ ارحمني إن شئت، اللَّهمَّ ارزقني إن شئت» يفهم منه أنَّه مستغن عن الله، فكأنَّه يقول: يا رب إن شئت اغفر لي وإن شئت لا تغفر لي، فلا فرق عندي في ذلك.

وفي قوله ﷺ: «فإنَّ الله لا مكره له» كأنَّ السَّائل إذا قال: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت» يظنُّ أنَّ هناك من يمنع الله أن يعطي أو يمنع - تعالى الله عن ذلك - وهذا مناف لتعظيم الله وقدرته ومشيئته المطلقة - سبحانه.

قال الشَّيخ عبدالرَّحمن بن حسن في «فتح المجيد» تعليقًا على قوله: «فإنَّ الله لا مُكْرِهَ له» قال: «بخلاف العبد فإنَّه قد يعطي السَّائل مسألَتَه لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كارِهٌ، فاللاَّئق بالسَّائل للمخلوق أن يُعلِّقَ حصولَ حاجته على مشيئة المسئول؛ مخافةَ أن يُعطيَه وهو كاره، بخلاف ربِّ العالمين، فإنَّه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلُّهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربِّه طرفةَ عين، وعطاؤه كلام، وفي الحديث: «يمين الله ملآى لا تغيضها نفقة سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّماوات والأرض فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه، وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه».

يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير، فاللاَّئق بمن سأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يعزم المسألة، فإنَّه لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عِظَمِ مسألة...».



وممَّا ينبغي التَّنبيه عليه، أنَّ بعض أهل العلم فرَّقوا بين قول: «إن شئت» بصيغة الخطاب وبين قول: «إن شاء الله» بصيغة الغيبة، كأن يقول: الله يغفر لي إن شاء الله، أو الله يغفر لفلان إن شاء الله، فيرون أنَّ الاستثناء في الدُّعاء بصيغة الغيبة جائز، واحتجُّوا بقول النَّبيِّ ﷺ عندما زار مريضًا، فقال له: «لابأس طهور إن شاء الله».

وقالوا إنَّ قول: «إن شاء الله» مع الدُّعاء المقصود منه البركة وليس التَّعليق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: 27]، وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: 99].

والجواب عن الاحتجاج بجواز ذلك بالحديث: «طهور إن شاء الله» أن يُقال: إنَّ هذا من باب الخبر وليس الإنشاء، قال الشَّيخ العثيمين رحمه الله: «فإن قال قائل: أليس في دعاء عيادة المريض أن يقول العائد للمريض: «لابأس طهور إن شاء الله» فالجواب: بلى، ولكن هذا من باب الخبر وليس من باب الدُّعاء يعني: أرجو الله أن يكون طهورًا لك إن شاء الله، فهو من باب الرَّجاء؛ لأنَّ المرض قد يكون طهورًا للإنسان، وقد لا يكون، فالإنسان إذا صبر صار طهورًا له، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «ما يصيب المسلم من همٍّ ولاغمٍّ ولا أذى حتَّى الشَّوكة يشاكها إلَّا كفَّر الله تعالى بها من خطاياه»...».

وأمَّا التَّفريق بين قول: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت» وقول: «الله يغفر لي إن شاء الله» فيقال: إنَّ قول: «إن شاء الله» كقول: «إن شئت» في منافاة الأدب، لكن قول: «إن شئت» أشد؛ لأنَّ مقام الخطاب أعظم من مقام الغيبة، وكلٌّ منهما فيه ترك الأدب.

وأمَّا الاحتجاج بالآيتين على أنَّ قول: «إن شاء الله» للبركة وليس للتَّعليق، فهو أمر محتمل ولكنَّ المعنى المستعمل في واقع النَّاس وعُرفهم هو التَّعليق وليس البركة.

قال الشَّيخ صالح آل الشّيخ في شرح «فتح المجيد»: إنَّ قوله: «إن شاء الله» تحتمل البركة وتحتمل التَّعليق... وفي عرف النَّاس إنَّما يستعملونها للتَّعليق، لا يستعملونها للبركة، فنادرًا من يفهم أنَّ «إن شاء الله» هي للتبرُّك، والفرق بين متحقِّقُ الوقوع، وغير متحقِّق الوقوع، فإعمال الأدب بحسب عُرف النَّاس، هذا هو الَّذي ينبغي، بل هو الَّذي يجب، رعاية للأدب، وحماية لجناب الأدب مع الله سبحانه في الدُّعاء، لكن مرتبته ليست كقول القائل: «اللَّهمَّ اغفر لي إن شئت» إذا قال الله: «الله يرحمه إن شاء الله، الله يغفر له إن شاء الله» هي أخفُّ بكثير من أن يقول: «اللَّهمَّ اغفر له إن شئت، اللَّهمَّ ارحمه إن شئت» وهذا يدلُّ على استغناء وعدم حاجة، وعدم رغبة، نسأل الله العافية...».

أسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم والفهم لكتابه، وسنَّة رسوله ﷺ، وأن يرزقنا العمل بما علمنا، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.





بحوث ودراسات

مسألة اجتماع غسل الجمعة مع غسل الجنابة

محمد تشلابي
ماجستير في الشريعة الإسلامية

بتتبع أحوال المغتسل من الجنابة يوم الجمعة، يظهر أن أمره لا يعدو إحدى الحالات الثلاث:

1/ إمَّا أن ينوي باغتساله غسل الجنابة والجمعة جميعًا.

2/ وإمَّا ينوي به الاغتسال للجمعة دون الجنابة.

3/ وإمَّا ينوي به الاغتسال للجنابة دون الجمعة.

وفيما يلي شيء من التفصيل لأقوال العلماء فيما يخص كل حالة على حدة، فأقول وبالله التوفيق:





■ الحالة الأولى :

أن يغتسل غسلاً واحدًا للجنابة والجمعة ينويهما جميعًا.

ولعلمائنا ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة قولان مشهوران، هما :

□ القول الأول:

أنَّ ذلك مجزئ عنهما جميعًا.

وبه يقول ابن عمر والثوري[1] ومجاهد ومكحول والأوزاعي وأبو ثور[2] وعمر ابن عبد العزيز ومالك[3] وابن القاسم[4] وهو المذهب عند الشافعية[5] والحنابلة[6] وعزاه ابن المنذر[7] وابن قدامة[8] إلى أكثر أهل العلم، واختاره الشيخ ابن عثيمين[9] وابن باز[10] من المعاصرين.

(1) نقله عنهما ابن المنذر في «الأوسط» (4/ 43).
(2) نقله عنهم ابن قدامة في «المغني» (2/ 201).
(3) «المدَوَّنة» (1/ 146).
(4) «المنتقى» (1/ 187).
(5) «المجموع» (4/ 406)، «حلية العلماء» (2/ 284).
(6) «المغني» (2/ 201)، «الشرح الكبير» (2/ 201).
(7) «الأوسط» (4/ 43).
(8) «المغني» (1/ 220).
(9) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (16/ 137).
(10) «مجموع فتاوى ابن باز» (12/ 406).

واعتمدوا في التدليل لذلك على السنة والإجماع والقياس والآثار والمعقول.

أوَّلا: السُّنَّة.

عن عُمَرَ بنِ الخطَّاب ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّة، وإنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى...» الحديث[11].

ووجه انتزاع الحجَّة من هذا الحديث أنَّ لفظةَ «الأعمال» وردت بصيغة الجمع، ولفظة «النِّيَّة» بصيغة الإفراد، ففُهِمَ جوازُ اندراج أعمالٍ كثيرة وعديدة تحت نيَّة واحدة.

ثانيًا: الإجماع.

قال ابنُ عبد البرِّ في «التَّمهيد» (14/152): «وأجمعوا على أنَّ من اغتسل ينوي الغسلَ للجنابة والجمعة جميعًا في وقت الرَّواح، أنَّ ذلك يُجزئه منهما جميعًا ولا يقدح في غسل الجنابة، ولا يضرُّه اشتراكُ النِّيَّة في ذلك إلَّا قومًا

(11) أخرجه البخاري (54)، ومسلم (1907).

من أهل الظَّاهر شذُّوا فأفسدوا الغسلَ إذا اشترك فيه الفرضُ والنَّفل؛ وقد رُوِيَ مثلُ هذا في روايةٍ شذَّت عن مالك».

ثالثا: القياس.

فبالقياس على الحائض الجنب، وذلك أن الحائض إذا كانت جنبا جاز لها أن تغتسل للحيض وتنوي به الجنابة أيضا[12].

رابعا: الآثار.

عن عبدِ الله بنِ عمر ﷺ أنَّه كان يغتسل للجنابة والجمعة غسلاً واحدًا[13].

ووجه التَّعلُّقِ بهذا الأثر، أنَّه لمَّا اغتسل ابنُ عمر للجنابة والجمعة غسلاً واحدًا، ولم يخصِّصْ لكلٍّ منهما غسلاً، دلَّ على تسويغ اندراج أحدِهما تحت الآخر.

خامسا: المعقول.

علَّلوا جوازَ اشتراك النِّيَّة في مثلِ هذا المقام من وجهَيْن:

الأوَّل: بأنَّ الجمعةَ والجنابةَ موجبُهما واحدٌ وهو الغسل، وهي عبادةٌ تتداخل فجاز أن يفعل لهما؛ كالوضوء من البول والغائط، والنَّوم ومسِّ الذَّكر[14].

والثَّاني: بأنَّه إذا صلَّى ينوي بذلك الفرضَ وتحيَّةَ المسجد؛ فإنَّه يجزي عنهما[15].

وانتصر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لهذا القولِ فقال كما في «مجموعه» (16/137): «فإذا كان الإنسانُ جُنُبًا واغتسل ونوى بذلك رفعَ الجنابة والاغتسالَ

(12) «المُهذَّب» (4/ 404).
(13) أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المُصنَّف» (1/ 439)، وأورده ابنُ عبد البرِّ في «التَّمهيد» (14/ 152).
(14) «المنتقى» (1/ 187).
(15) «المجموع» (4/ 406).

للجمعة، فلا حرج في هذا، كما لو أنَّ الإنسانَ دخل المسجدَ وصلَّى ركعتَيْن ينوي بهما الرَّاتبةَ وتحيَّةَ المسجد فلا بأس».

□ القول الثَّاني:

عدم جواز اشتراك النِّيَّة، بل يشترط غسلاً للجنابة على حدة وآخر للجمعة.

وهو قول محمَّد بن مسلمة من المالكيَّة[16]، وبه يقول الظَّاهريَّة[17]، ورجَّحه ابن حجر[18].

واستدلوا لذلك بالسُّنَّة والآثار والمعقول.

أوَّلاً: السُّنَّة.

عن عمر ﷺ أنَّه قال: سمعتُ رسولَ الله يقول ﷺ: «إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّة، وإنَّمَا لكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى...» الحديث.

ووجهُ الاستدلال بهذا الحديث: أنَّ قولَه ﷺ «وإنَّمَا لامْرِئٍ ما نَوَى» صريحٌ في أنَّ للإنسان ما نوى فقط، دون ما لم يَنْوِه[19]؛ فاقتضى أنَّ لكل عمل نيَّةً تقتصر عليه ولا تتعدَّى إلى غيره.

ثانيًا: الآثار.

أمَّا من جهة الآثار فقد استدلُّوا بما جاء عن بعض ولد أبي قتادة أنَّه دخل على أبيه يومَ الجمعة ينفض رأسَه مُغتَسِلاً، فقال: «للجمعة اغتسلتَ؟ قال: لا! ولكن من الجنابة، فقال: فأعِدْ غسلاً للجمعة!»[20].

ووجه التَّعلُّق بهذا الأثر، أنَّه لو كان غسلُ الجنابة ينوب عن غسل الجمعة ويقوم مقامَه، لما كان لأمر أبي قتادة لولده بإعادة غسلٍ آخر للجمعة من معنى ولا كبير فائدة.

ثالثًا: المعقول.

وأمَّا من جهة المعقول، فقد علَّلوا عدمَ نيابة أحد الغسلين عن الآخر بأمرين:

الأوَّل: بكون غسل الجنابة واجبًا وكذا غسل الجمعة، والواجب لا يُسقِطُ واجبًا آخر[21].

والثَّاني: بأنَّ غسلَ الجمعة لا يفتقر إلى نيَّة، وإذا نواه مع غسل الجنابة الَّذي يفتقر إلى نيَّةٍ منع ذلك صحَّةَ النِّيَّةِ[22].

○ موازنة و مناقشة:

إنَّه يمكن مناقشةُ بعضِ الأدلَّة المسوقة في هذا المبحث وبالأخصِّ أدلَّة المانعين من الاجتزاء على النَّحوِ التَّالي:

أوَّلاً: عن الاستدلال بالسُّنَّة.

جوابه: بأنَّ ذلك حجَّةٌ عليهم وليس لهم؛ لأنَّ في الحديث: «وَإنَّمَا لامْرِئٍ ما نَوَى» وهذا قد نوى الجنابةَ ونوى الجمعة، فاقتضى صحَّة ما نواه.

ثانيًا: عن الاستدلال بأثر أبي قتادة.

جوابه: بأنَّه على تسليم ثبوته فهو معارَضٌ بما ثبت إيرادُه عن ابن عمر ﷺ أنَّه كان يذهب إلى اجتزاء غسلٍ واحدٍ عن الجنابة والجمعة معًا، فتعارضا فسقط الجميع.

على أنَّه يمكن الإجابةُ عنه بحمل الأمر بالغسل فيه على أنَّه لم يكن نوى الجمعةَ معه.

ثالثًا: عن الاستدلال بالمعقول.

وأمَّا عن الاستدلال بالوجه الأوَّل من الدَّليل العقلي، فجوابه أنَّ هذا مبنيٌّ على القول بوجوب غسل الجمعة وهذا نتنازع فيه، ثمَّ إنَّه على التَّنزُّل وتسليم ذلك، فلا نُسلِّمُ أنَّ الواجبَ لا يُسقطُ واجبًا آخر، يوضِّحُه أنَّ الوضوءَ للصَّلاة واجبٌ من غير خلاف، ومع هذا فقد ثبت في «صحيح مسلم» وغيره أنَّ رسولَ الله ﷺ كان تارةً يغتسل للجنابة من غير أن يتوضَّأَ، لا قبلَ الغسل ولا أثناءَه ولا بعدَه، وذلك كما في قوله ﷺ: «أَمَّا أَنَا فأُفْرِغُ على رَأْسِي ثَلاَثًا»[23].

وقد سئل ابنُ عمر ﷺ عن الوضوء بعد الغسل؛ فأجاب: «وأيُّ وضوء أعَمُّ من الغسل؟»[24].

يعزِّزُه ما قرَّره ابنُ العربي بهذا الصدَّد في «عارضة الأحوذي» (1/162) حيث قال: «لم يختلفْ أحدٌ من العلماء في أنَّ الوضوءَ داخلٌ في الغسل، وأنَّ نيَّةَ طهارة الجنابة تأتي على طهارة الحدث وتقضي عليها، ويَطهُرُ البدن بالاغتسال من الجنابة طهارةً عامَّةً؛ وذلك لأنَّ موانعَ الجنابة أكثر من موانع البول، فدخل الأقلُّ في نيَّة الأكثر، وأجزَأَتْ نيَّةُ الأكثر عنه» اهـ.

ومثله كلامُ أبي بكر الجصَّاص في «أحكام القرآن»، عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: 6]، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن شرط في صحَّته مع وجود

---

(16) «المنتقى» (2/ 187).
(17) «المُحلَّى» (2/ 42).
(18) «فتح الباري» (1/ 14).
(19) «المُحلَّى» (2/ 43).
(20) أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المُصنَّف» (1/ 439)، وابنُ خزيمة (3/ 130)، وذكره الحافظ في «الفتح» وسكت عنه (2/ 361)، وهو حديث حسنٌ، كما في «صحيح التَّرغيب» (1/ 369).
(21) «المُحلَّى» (2/ 45).
(22) «المُنتَقى» (1/ 187).
(23) «صحيح مسلم» (327)، و«صحيح النَّسائي» (425)، و«المغني» (1/ 218).
(24) يراجع «المُدوَّنة» (1/ 29)، و«نيل الأوطار» (1/ 310).

الغسل وضوءًا، فقد زاد في الآية ما ليس فيها»[25].

بل صلاة العيد، وهي عند الجمهور سنَّةٌ مؤكَّدةٌ فقط، تُسقط الجمعة، فكيف مع القول بوجوبها كما هو الشَّأنُ عند الأحناف[26] وبعض مُحقِّقي الحنابلة[27]؟ وهو الأصحُّ.

○ التَّرجيح:

وعليه فالَّذي يظهر لي أنَّه أحقُّ القولَيْن بالتَّرجيح بخصوص هذه المسألة، هو القولُ الأوَّل القاضي بالاكتفاء بغسل واحد ينوي به الجنابة والجمعة جميعًا.

✧ وإنَّما آثرْتُ هذا القولَ على الآخر لأسباب؛ أهمُّها:

1 ـ لأنَّه أقوى من حيث الأدلَّة المعتمدة.

2 ـ لأنَّه أشبَهُ بقواعد الشَّريعةِ الَّتي تقتضي إدراجَ الأدنى تحت الأعلى إذا كانت من العبادات الَّتي تتداخل فيما بينها كما في هذه المسألة.

3 ـ ولأنَّه أدخلُ بمقاصدها وألصق برُوحِها الَّتي تقتضي التَّسهيلَ والتَّيسيرَ ما لم يكن هناك مانع من ذلك يستند على أدلَّة سالمة من المعارضة لا تقبل التَّأويل، والله أعلم.

⌑ ⌑ ⌑

(25) «أحكام القرآن» للجصَّاص (2/ 364ـ365)، وقد حكى الشَّوكاني في «النَّيل» (1/ 306) الإجماعَ على ذلك نقلاً عن ابن بطَّال، وردَّه.

(26) انظر «اللباب» (1/ 116)، «المبسوط» (1/ 37)، «ملتقى الأبحر» (1/ 149)، «نور الإيضاح» (ص209)، و«مراقي الفلاح» (ص209).

(27) يراجع «مجموع فتاوى ابن تيمية» (23/ 161ـ 162).



■ الحالة الثَّانية:

أن يغتسلَ للجنابة دون أن ينوي الجمعةَ.

وفيه قولان:

□ القول الأوَّل: أنَّ ذلك مجزئ.

عزاه ابنُ المُنذر إلى أكثر أهل العلم من الصَّحابة والتَّابعين[28] وبه قال الثَّوري واللَّيثُ وابنُ الماجشون[29] وأشهب ومحمَّد بنُ مَسلَمَة[30]، وهو وجهٌ لبعض الشَّافعيَّة[31] والمشهور عن أحمد[32]، اختاره الشَّيخُ ابنُ باز[33] وابن عثيمين[34]، وعليه فتوى اللَّجنة الدَّائمة[35].

واعتلُّوا لجواز ذلك بأمرَيْن:

الأوَّل: بأنَّ المقصودَ بغسل الجمعة التَّنظيفُ، وقد حصل ذلك بغسل الجنابة[36].

والثَّاني: بأنَّ غسلَ الجمعة لا يَفتَقِرُ إلى نيَّة، فأجزَأَ عنه بغسل الجنابة[37].

□ القول الثَّاني: عدم اجتزاء ذلك.

وبه قال مالك[38] وأكثرُ أصحابه[39] وهو قولُ أكثر الشَّافعيَّة[40].

واعتلُّوا لمنع ذلك من وجهَيْن:

الأوَّل: بأنَّه لم يَنْوِ الجمعة، فأشبه كما لو اغتسل من غير نيَّة[41].

والثَّاني: بأنَّ غسلَ الجمعة إنَّما يثبت بعد ارتفاع الحدث، ولا ينتقض بالحدث[42].

○ موازنة و مناقشة:

والَّذي يظهر لي بهذا الصَّدد، أنَّ تعليلات القول الأوَّل الصائر إلى اجتزاء

(28) نقله عنه الحافظُ في «الفتح» (2/ 373)، ولم أقف عليه في «الأوسط»، ولعلَّه في كتاب آخر له.

(29) نقله عنهم ابنُ عبد البرِّ في «الاستذكار» (2/ 278ـ 279).

(30) نقله عنهما الباجي في «المنتقى» (1/ 50).

(31) «المجموع» (4/ 407)، «حلية العلماء» (2/ 284).

(32) «الفروع» (2/ 124).

(33) «مجموع فتاوى ابن باز» (12/ 406).

(34) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (16/ 137).

(35) «فتاوى اللَّجنة الدَّائمة» (5/ 358).

(36) «المُهذَّب» (4/ 404).

(37) «المُنتقى» (1/ 50).

(38) «التَّمهيد» (14/ 152).

(39) «المُنتقى» (1/ 50).

(40) «المجموع» (4/ 407).

(41) «المُهذَّب» (4/ 404).

(42) «المنتقى» (1/ 50).

الغسل في هذه الحالة أقوى من تعليلات القول الثَّاني المعارض، وبالتَّالي يمكن الإجابةُ عنها على النَّحوِ التَّالي:

1 ـ يُجاب عن التَّعليل الأوَّل، بأنَّه وإن لم يَنْوِ الجمعةَ فإنَّ ذلك لا يَضُرُّ؛ لأنَّه قد نوى ما هو أعلى منه، وهو غُسلُ الجنابة، وغُسلُ الجنابة لا خلافَ في وُجوبه، وليس كذلك غسل الجمعة، فساغ إدراجُ الأدنى تحت الأعلى.

2 ـ كما يُجاب عن التَّعليل الآخر، بأنَّه إذا ثبت بالأدلَّة الصَّحيحة الَّتي لا وجهَ للاعتراض عليها بأنَّ الوضوءَ الَّذي لا خلافَ في وجوبه يدخل تحت غسل الجنابة، فلأَنْ يَندَرِجَ غسلُ الجمعة المُختَلَفُ في وجوبه أَوْلَى وأحرى.

○ **التَّرجيح:**

وعليه؛ فالمُعوَّل عليه هنا هو القول الأوَّل، قول أكثر أهلِ العلم من الصَّحابة والتَّابعين القاضي بنيابة غسل الجنابة عن غسل الجمعة، وذلك لقوَّة تعليلاته وسلامتها من الاعتراض ومطابقتها لأصول الشَّريعة، والله تعالى أعلم.

□□□

■ **الحالة الثَّالثة:**

أن يَغتَسلَ للجمعة ولا ينوي الجنابةَ.

وفيه لعلمائنا قولان أيضًا:

□ **القول الأوَّل: أنَّ ذلك مُجزٍ عن غسل الجنابة.**

وهي روايةٌ عن مالك اختارها ابنُ الماجشون وابنُ وهب وابنُ كنانة وابنُ نافع ومحمَّد بنُ مسلمة ومطرِّف[43]، وقولُ أشهب[44]، وعزاه النَّووي في «المجموع» إلى الخراسانيِّين من الشَّافعيَّة[45].

وعلَّلوا اجتزاءَ ذلك بما يلي:

فيما يخصُّ صحَّةَ الغسل للجمعة فبالتَّعليل بأنَّه نواه[46].

وأمَّا بالنِّسبة لصحَّة غُسلِ الجنابة معه أيضًا، فبأنَّ غسل الجمعة مشروعٌ مأمورٌ به، فوجب أن تُجزئَ نيَّتُه عن نيَّة غسل الجنابة، كمن توضَّأ لنافلة فصلَّى به فريضةً أيضًا[47].

□ **القول الثَّاني: عدم اجتزاء ذلك.**

وهي روايةُ ابنِ عبد الحكم عن مالك، وقولُ ابنِ القاسم[48] اختاره أصبغ[49]، وهو قول جمهور الشَّافعيَّة[50]، اختاره الشَّيخ ابنُ عثيمين[51].

وعلَّلوا عدمَ الاجتزاء بما يلي:

أمَّا بخصوص عدم الاجتزاءِ عن الجنابة قالوا بأن غسل الجمعة غير واجب، ونية النافلة لا تنوب عن الفرض[52].

وأمَّا بالنِّسبة لعدم الاجتزاء عن الجمعة أيضًا فاعتلُّوا بأنَّ المقصودَ من غسل الجمعة التَّنظيف، وهو غيرُ حاصل مع بقاء الجنابة[53]، والله تعالى أعلم.

□ **التَّرجيح:**

والحقُّ أنَّ التَّرجيحَ في هذه المسألة هو فرعُ حكم غسلِ الجمعة، وعليه؛ فإنْ كان غسلُ الجمعة واجبًا مُطلقًا أمكن تصوُّرُ اجتزائه عن الجنابة على جهة تداخل الغسلَين، كما تكتفي الحائضُ الجُنب بغسل واحد للحيض والجنابة إذا طهُرَت.

وأمَّا على القول باستحبابه فقط، فالقاعدة أنَّ الواجبَ لا يسقُطُ إلاَّ بواجبٍ مثله.

كما انتصر الشَّيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ إلى القول بعدم الاجتزاء فيما نحن فيه وعلَّله بقوله[54]: «لأنَّ غسلَ الجمعة واجبٌ عن غير حدث، وغسل الجنابة واجبٌ عن حدث فلا بدَّ من نيَّة ترفع هذا الحدث».

◎◎◎

هذا؛ ولمَّا كان الأمرُ كذلك، فالأولى في تقديري من باب إبراء الذِّمَّة والحيطة للدِّين أن يأتي الواحدُ بغسلَيْن في الحالات الثَّلاثِ الآنفة الذِّكر إن تسنَّى له ذلك، لما في فعل ذلك من خروج من هذا المضيق وانفصال من الإشكال، فضلاً عن كون ذلك أَرْيَحَ للنَّفس وأهدأَ للبال، خصوصًا في زمننا هذا مع ما فتح الله به علينا من التَّسهيلات في أمورنا الدُّنيويَّة حتَّى أضحى فعلُ ذلك أسهلَ ما يكون ومن غير مشقَّة تُذكَر ولله الحمد والمنَّة، والله أعلم.



---

(43) «المُنتقى» (1/ 50).

(44) نقله عنه ابنُ عبد البرِّ في «الاستذكار» (2/ 279).

(45) «المجموع» (4/ 407).

(46) «المُهذَّب» (4/ 404).

(47) «المنتقى» (1/ 50).

(48) نقله عنهم ابنُ عبد البر في «التَّمهيد» (14/ 152).

(49) نقله عنه الباجي في «المنتقى» (1/ 50).

(50) «المجموع» (4/ 406).

(51) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (16/ 137).

(52) «المنتقى» (1/ 50).

(53) «المُهذَّب» (4/ 404).

(54) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (16/ 137).

الاحتساب

في الدَّعوة إلى الله تعالى

عمر الحاج مسعود

كان نبيُّنا ﷺ وإخوانُه المرسلون عليهم السلام هداةً مهتدين ومعلِّمين ناصحين، وكانوا أنصحَ لقومهم من أنفسهم، يبذُلون لهم العلمَ والفقهَ لوجه الله مجَّانًا ولا يطلبون منهم جزاءً ولا شكورًا، ولا يطمعون في شيْءٍ ممَّا عندهم، بل ينفقون الدُّنيا وما فيها في مرضاةِ الله جلَّ وعلا ونُصرةِ دينه وتأليفِ القلوبِ عليه، ويحتسبون الأجرَ على ربِّهم

الدَّعوةُ إلى سبيل الله رسالةُ الأنبياء ووظيفةُ المصلحين والعلماء، الَّذين تجَرَّدوا لإعلاء كلمة الله العزيز الحميد وتفانَوا في الذَّبِّ عن التَّوحيد، وحرَصوا على إنقاذ العباد من ظلمات الجهل والغَواية ومخالفة الحقِّ، مبتغين بذلك رضوانَ ربِّهم وإظهارَ دينه وهدايةَ الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فُصِّلَت]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [البقرة: 218]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر].

¤ ¤ ¤

وبذلوا في سبيل ذلك الغاليَ والنَّفيس، وجادُوا بالأوقات والمُهَج، روى البخاري (6445) ومسلم (991) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لاَ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ

لَيَال وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إلاَّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْن»، وقال لعليٍّ رضي الله عنه: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم» رواه البخاري (3701) ومسلم (2406)، وفي «تهذيب الكمال» للمزِّيِّ (427/9) أنَّ زهير بن نُعَيم البابي قال: «وددتُ أنَّ جسدي قُرِضَ بالمقاريض وأنَّ هذا الخلق أطاعوا الله»، وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله يقول . كما في «سيرته لابن عبد الحكم» (ص130) : «يَا لَيْتَنِي قد عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به، فَكلَّما عملت فيكم بسنَّة وَقع منِّي عُضْوٌ ، حَتَّى يكون آخرُ شَيْء مِنْهَا خُرُوجَ نَفسِي».

⌑ ⌑ ⌑

فكانت قرَّةُ أعينهم وسرورُ قلوبهم وراحةُ بالهم في ظهور التَّوحيد وعلوّ الإسلام على الدِّين كلِّه ودخول النَّاس فيه كافَّةً، وخضوعهم لأحكامه، ولم يكن شيءٌ أتعبَ لنفوسهم وأشدَّ على قلوبهم من بقاء الشِّرك والمنكرات وبروزها والدَّعوة إليها، روى البخاري (6333) ومسلم (2476) عن جَرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَة . وَهُوَ نُصُبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَةَ .... فَانْطَلَقْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمِي فَأَتَيْتُهَا فَأَحْرَقْتُهَا».

⌑ ⌑ ⌑

لقد كان ﷺ حريصًا على هداية النَّاس مُشفقًا عليهم من الضَّلال والشَّقاء في الدُّنيا والآخرة، وهذا من أكمل صفات بني آدم وأعزِّها وجودًا، بل لا يُعرف إلاَّ عن الَّذين اصطفاهم الله من الأنبياء وورثتهم، فكان ذلك دأبَه وهمَّه منذ أمَرَه الله بالنِّذارة إلى أن التَحق بالرَّفيق الأعلى، ولم يدعُ إلى نفسه ولا إلى عَرَض من أعراض الدُّنيا، بل عُرضت عليه ورفضها كلَّها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [سورة يوسف]، قال ابن باديس رحمه الله في «تفسيره» (122/1) : «فكان يدعو إلى دين الله، ويبيِّنُ هو ذلك الدِّينَ ويمثِّلُهُ، يدعو إلى عبادة الله وتوحيده وطاعته، ويشاهدُ النَّاسُ تلك العبادةَ والتَّوحيد والطَّاعة، فكان ﷺ كلُّه دعوةً إلى الله، فما دعا إلى نفسه؛ فقد مات ودرعُه مرهونةٌ في دَيْن».

⌑ ⌑ ⌑

كان نبيُّنا ﷺ وإخوانُه المرسلون عليهم السلام هداةً مهتدين ومعلِّمين ناصحين، وكانوا أنصحَ لقومهم من أنفسهم، يبذُلون لهم العلمَ والفقهَ لوجه الله مجَّانًا ولا يطلبون منهم جزاءً ولا شكورًا، ولا يطمعون في شيء ممَّا عندهم، بل ينفقون الدُّنيا وما فيها في مرضاة الله جلَّ وعلا ونُصرة دينه وتأليف القلوب عليه، ويحتسبون الأجرَ على ربِّهم، وكان النَّبيُّ من أنبياء الله عليهم السلام يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [سورة الشعراء]، وقال خاتَمهم محمَّد ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [سورة ص]، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٤٧﴾ [سورة سبأ]، وقال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ٤٠﴾ [سورة الطور]، هذا استفهامٌ إنكاريٌّ، أي إنَّك لم تسألْهُم عَلى ذَلِك شيْئًا، فأنت تدعوهم من غير أن تطلب منهم غرامةً تُثقلهم وتشقُّ عليهم، بل تطلب الأجرَ والثَّواب من الله الكريم الوهَّاب، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾ [سورة المؤمنون].

قال الشَّنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (179/2): «ويُؤْخَذُ من هذه الآيات الكريمة أنَّ الواجبَ على أتباع الرُّسُل من العلماء وغيرهم أَنْ يَبذُلُوا ما عندهم من العلم مجَّانًا من غير أخذ عوَض على ذلك».

وعن أبي العالية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة : 41]، قال: «لا تأخذ على ما علَّمت أجرًا، فإنَّما أجرُ العلماء والحُكماء والحُلماء على الله عزَّ وجلَّ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوراة: يا ابنَ آدم علِّم مجَّانًا كما عُلِّمت مجَّانًا»[1].

⌑ ⌑ ⌑

ومن حرصه ﷺ على الدَّعوة والنُّصح أنَّه كان يعطي على الإسلام عطاءَ الواثق بالله ورزقه وخَلَفه، وينفق نفقةَ من لا يخشى الفقر والحاجة، فعن أنس رضي الله عنه قَال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إلاَّ أَعْطَاه، قَال: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْن فَرَجَعَ إِلَى قَوْمه فَقَال: يَا قَوْم أَسْلِمُوا فَإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الفَاقَةَ» رواه مسلم (2312)، فكان يبذل المال تحقيقًا للغاية الَّتي من أجلها أنزله الله، قال ﷺ: «إنَّ اللهَ قَالَ: إنَّا أَنْزَلْنَا المَالَ لإقَامِ الصَّلاَة، وَإيتَاء الزَّكَاة» رواه أحمد (21906)، وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (1639).

وفي حديث الهجرة في «صحيح البخاري» (2138) قال أبو بكر رضي الله عنه: «الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ الله»، قال: «الصُّحْبَةَ»، قَال: «يَا رَسُولَ الله إنَّ عِنْدِي

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (220/2)، وابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (621) مختصرًا.

وإنَّ من أغرب المظاهر المنافية للإخلاص في الدَّعوة والإمامة اختيارَ المساجد للخَطابة وصلاة التَّراويح على أساس دنيويٍّ بحْت، فتُفضَّل ولو كانت الدَّعوةُ في غيرها أجدى نفعًا وأحسنَ عاقبةً

نَاقَتَيْن أَعْدَدْتُهُمَا للخُرُوج فَخُذْ إِحْدَاهُمَا»، قَال: «قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَن»، فلم يقبَلْها إلاَّ بالثَّمن لتَكُونَ هجْرَتُه إلى الله بنَفْسه وَمَاله رَغْبَةً منْهُ ﷺ في اسْتكْمَال فَضْل الهِجْرة وَالجهاد عَلَى أَتَمِّ أَحْوَالهما[2].

وفي هذا توجيهٌ حكيم للدُّعاة وتنبيهٌ لطيف للمصلحين على أن ينفقوا من أموالهم ما استطاعوا في سبيل الدَّعوة والتَّعليم؛ ليبقى أجرُهم على الله كاملاً غيرَ منقوص.

إنَّ الدَّاعيَ الصَّادقَ المبارَك يدعو إلى الله ويعلِّم لوجهه، ولا يتَّخذ ذلك سبيلاً لكسب الرِّياسة والشُّهرة ولا وسيلةً لنيل حطام الدُّنيا وعَطاء المدعوِّين، كما يشير إليه قَوله تعالى: ﴿ٱدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 108]، فهذه الآيةُ فُرقانٌ بين الصَّادق الموفَّق والكاذب المخذول، قال ابن باديس في «تفسيره» (127/1): «الصَّادق لا يتحدَّث عن نفسه، ولا يجلُب لها جاهًا ولا مالاً، ولا يبغي لها من النَّاس مدحًا ولا رِفْعة، أمَّا الكاذبُ فإنَّه بخلافه، فلا يستطيع أن ينسى نفسَه في أقواله وأعماله، وهذا الفرق من قوله تعالى: «إلى الله»».

وإنَّ من أخسر النَّاس صفقةً مَن يأكلُ بدينه ـ سؤالاً واستشرافًا ـ، وأفحشهم غبْنًا مَن يسألُ بعلمه بغير حقّ، روى البيهقي في «شعب الإيمان» (6533) بإسناد حسن عن مَالك بن أَنَس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال، قَالَ لي رَبيعَةُ الرَّأْي ـ وَكَانَ أُسْتَاذَ مَالك ـ: «يَا مَالكُ مَن السَّفلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: «مَنْ أَكَلَ بدينه» فَقَالَ: مَنْ سَفلَةُ السَّفلَة؟ قَالَ: «مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْره بفَسَاد دينه» قَالَ: «فَصَدَرَني»، أي ضرب على صدره رضًا بفهمه واستحسانًا لجوابه.

⌑ ⌑ ⌑

ولقد كان السَّلف ـ رحمهم الله ـ يزجُرون عن هذا الفعل وينفِّرون منه ويعُدُّونه خسَّة ونَذالة، روى البيهقي في «الشُّعب» (6530) عن الفضيل ابن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «لأَنْ آكُلَ الدُّنْيَا بالطَّبْل وَالمزْمَار أَحَبُّ إِلَيَّ منْ أَنْ آكُلَهَا بديني»، وفي «تاريخ الإسلام» للذَّهبي (867/5) قال سَحنون القيروانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَكْلٌ بالمسكنة خيرٌ من أكْل بالعلم»، وهذا محمول على المبالغة في الذَّمِّ والزَّجر، على غرار قول شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن أزنيَ أحبُّ إليَّ من أن أدلِّس».

ورأى بعضُ العلماء أن لا يؤخذَ العلم عن أمثال هؤلاء ولا يؤتمَّ بهم، تقريعًا وتأديبًا.

فهذا عالمُ أهل الشَّام الحافظُ هشامُ ابنُ عمَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع جلالة قدْره وسَعة علمه، تكلَّم فيه بعضُ الحُفَّاظ لأنَّه كان يأخذ أُجرةً على الحديث، ففي «تهذيب الكمال» للمزِّيّ (249/30) قَال مُحَمَّدُ ابنُ وارَة: عزَمت زمانًا أن أُمسكَ عَنْ حديث هشام بنِ عمَّار لأنَّه كان يبيعُ الحديث، وقَال صَالحُ جَزَرَةُ: كان هشامُ ابن عمَّار يأخذ عَلَى الحديث، ولا يحدِّثُ ما لم يأخذ، فدخلت عليه يومًا، فَقَالَ: يا أبا علي حَدِّثْني بحديث لعليِّ بن الجَعْد، فقلت: حَدَّثَنَا ابن الجعد قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر الرَّازيُّ عَن الرَّبيع بن أنس عن أبي العالية قال: علِّمْ مجَّانًا كما عُلِّمت مجَّانًا، قال: تعرَّضتَ بي يا أبا علي؟ فقلت: ما تعرَّضتُ بك، بل قصدتُك.

قال الذَّهبي في «السِّير» (426/11): «العَجَبُ من هَذَا الإمَام مَع جَلاَلَته، كَيْفَ فَعَل هذَا ولَم يَكُن مُحْتَاجًا، وَلَهُ اجْتهَادُهُ».

وفي «السِّير» (369/11): «سُئل إسحاق بن رَاهَوَيْه عَمَّنْ يُحَدِّثُ بالأَجْرِ؟ قَالَ: لاَ تَكْتُبْ عَنْه».

⌑ ⌑ ⌑

ومن قال لا أعلِّم ولا أصلِّي بكم ولا أأذِّن ولا أخطُب حتَّى تُعطوني كذا وكذا، فقد اتَّخذ الدِّينَ وسيلةً للدُّنيا، فلا يكونُ له في الآخرة من خلاق، قال أبو داود كما في «مسائل أحمد» له (ص 91): «سَمعْتُ أَحْمَدَ سُئلَ عَنْ إمَام قَالَ لقَوْم: أُصَلِّي بكُمْ رَمَضَانَ بكَذَا وَكَذَا درْهَمًا؟ قَالَ: أَسْأَلُ اللهَ العَافيَةَ، مَنْ يُصَلِّي خَلْفَ هَذَا؟!»، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (19/26): «والارْتزَاقُ بأَعْمَال البرِّ لَيْسَ منْ شَأْن الصَّالحين، أَعْني إذَا كَانَ إنَّمَا مَقْصُودُهُ بالْعَمَل اكْتسَابَ المَال».

⌑ ⌑ ⌑

وإنَّ من أغرب المظاهر المنافية للإخلاص في الدَّعوة والإمامة اختيارَ المساجد للخَطابة وصلاة التَّراويح على أساس دنيويٍّ بحْت، فتُفضَّل ولو كانت الدَّعوةُ في غيرها أجدى نفعًا وأحسنَ عاقبةً، فبعضهم يبحث عن المسجد

(2) انظر «الرَّوض الأُنُف» للسُّهَيلي (57/5).

الَّذي يظفَر فيه بالشُّهرة والسُّمعة وكثرة الأتباع، ومنهم من يحرص على المسجد الَّـذي يـتردَّدُ عليه الأغنيـاءُ والـوُجهـاء ويختَلفُ إليه ذوو المناصب ورجالُ الأعمال الدُّنيويَّة، طمعًا فيما لديهم ورجـاءَ نيل الحظْوة عندهم.

ومـن العجائب أنَّ هناك مـن تأتيه «عـروضٌ»، فيختار الَّـذي يَـدْفـعُ أغلى ويَـجْـمـعُ أكـثـر، فأضحى الأمـرُ شبيهًا بالأندية الرِّياضيَّة الَّتي تتنافس في أحسن اللاَّعبين وتُزايدُ فيهم، ثمَّ يتبجَّح بعضُهم بأنَّ هذا من تكريم حفَظَة القرآن وتبجيل أهل العلم وطلبته، وأنَّهم أولى بذلك من الرِّياضيِّين والفنَّانين والمغنِّين.

فـأنَّـى لـهـؤلاء أن يـوفَّـقـوا ويـسـدَّدوا ويُوضعَ لهم القَبول، وقد دعَوْا لأنفسهم، وأكلوا بالعلم والقرآن واستكثروا به من المـال والجـاه ونـحـوهـمـا مـن الأعـراض الدُّنيويَّة، روى أحمد (15529) وصحَّحه الألبـاني في «الصَّحيحة» (260) أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَلاَ تَغْلُوا فيه وَلاَ تَجْفُوا عَنْهُ وَلاَ تَأْكلُوا به وَلاَ تَسْتَكْثرُوا بـه»، وروى أحمد (21220) وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (23)؛ وعَنْ أُبَيِّ بْن كَعْب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «بَشِّرْ هَذه الأُمَّةَ بالسَّنَاء وَالـرِّفْـعَـة وَالـدِّيـن وَالنَّـصْـر وَالتَّمْكين في الأَرْض، فَمَنْ عَملَ منْهُمْ عَمَلَ الآخـرَة للدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَـهُ في الآخـرَة نَصيبٌ»، والجملة الثَّانية «كـالاحـتراز عمَّا يفيده عمومُ البشرى وإبانة أنَّها لمن عَمل عمَلَ الآخـرة لـلآخـرة»[3]، فلا يفوزُ بالتَّوفيق والـرِّفـعـة والنَّـصـر إلاَّ أهـلُ الإخـلاص والتَّقوى والصَّلاح، قيل لأحمد في مَرَضه الَّذي مَاتَ فيه: «مَنْ نَسْأَلُ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: سَلْ عَبْدَ الـوَهَّـاب، فقيل له إنَّـهُ لَيْسَ لَهُ اتِّسَاعٌ في العلْم، فَقَال: إنَّهُ رَجُلٌ صَالحٌ، مثْلُه يُوَفَّقُ لإصَابَة الحَقِّ»[4].

إنَّ الإمـامـةَ والـدَّعوة ـ حقًّا وصدقًا ـ دعـوةٌ إلى تقوى اللَّه وتعظيمه ومرضاته والاستسلام لأحكامه وإخلاص الدِّين كلِّه له ونُصرته والرَّغبة في الآخرة والزُّهد في الدُّنيا، وأصبحت اليوم عند قوم مباهاةً وتكاثرًا وحرفةً للحصول على الأعراض الدُّنيويَّة، فهان العلمُ وزُهـد فيه وقلَّت بركتُه وانعدم التَّوفيقُ فيه، ودَبَّ إلينا داء الأمم قبلَنا الحسدُ والبغضاء، وهذه فتنة ـ لَعَمْرُ اللَّه ـ من أعظم الفتن الَّتي بُليت بها الأمَّة ورُزئ بها العباد، وصدق عَبْد اللَّه ابن مسعود ﷺ حيث قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إذَا لَبسَتْكُمْ فتْنَةٌ»، قَالُوا: وَمَتَى ذَلكَ يَا أَبَا عَبْد الرَّحْمَن؟ قَالَ: «... وَالتُمسَت الدُّنْيَا بعَمَل الآخرَة»[5].

ومـا أحـسـن مـا قـالـه الشيخ حافظ حكمي في «منظومته الميمية»[6]:

والنُّصحَ فابذُلْه للطُّلاب محتسبًا
في السِّرِّ والجهر والأُستاذَ فاحْترم

ومـرحبًا قـل لـمـن يأتيك يَطلبُهُ
وفيهمُ احفَظْ وصايا المصطفى بهم

والنِّيَّـةَ اجعل لوجه الله خالصـةً
إنَّ البنـاءَ بـدون الأصـل لـم يقُم

ومَن يكُن ليـقـولَ النَّـاسُ يطلبُـهُ
أَخْسِرْ بصَفقته في موقف النَّدم

ومَـن بـه يبتغي الدُّنيا فليس لَهُ
يوم القيامة من حظٍّ ولا قسم

كفى بـ (من كان) في شورى وهود وفي الـ
إسـراء موعظةً للحـاذقِ الفَهِم

⌑ ⌑ ⌑

ولا يفوتُني أن أنبِّه على أنَّ جمهور العلماء يقولون بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم ونحوهما من أعمال البرِّ[7] أخذًا بعموم قوله: «إنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْه أَجْرًا كتَابُ اللَّه» رواه البخاري (5737).

فالمعلِّم والإمـام والـدَّاعـي مـن أولى النَّـاس بالعطاء والإكـرام، فيأخذون العطاء أو المكافأة أو الجُعل أو الرَّاتب على تفرغهم، وبخاصَّة إذا كان أحدهم محتاجًا أو ذا عيال، فيأخذون الـرِّزق ليستعينوا به على نفقاتهم واحتياجاتهم، لكن يجب عليهم أن يجعلوا عملهم ذلك خالصًا لله، ويكون مقصودُهم الدِّين، وأمَّا الدُّنيا فوسيلة فقط، لا العكس، وعلى هذا يأخذون ليعلِّموا، ولا يعلِّمون ليأخذوا، فمن سار على هذه النِّيَّة الحسنة فقد أخذ طيِّبًا وأكل طيِّبًا، والله الموفِّق والمعين، والحمد لله رب العالمين.

⌑ ⌑ ⌑

(3) قاله الصَّنعاني في «التَّنوير» (4/ 547).

(4) «الورع» لأحمد رواية أبي بكر المروزي (4).
وعبد الوهاب هو ابن عبد الحكم الوراق صحب الإمام أحمد وكان من الصالحين العقلاء «طبقات الحنابلة» (324/1).

(5) رواه الدَّارمي (191) بإسناد صحيح.

(6) (ص13) / ط. دار الفضيلة.

(7) انظر «حاشية ابن عابدين» (2/ 37)، «البيان والتَّحصيل» (8/ 352)، «روضة الطَّالبين» (5/ 187)، «المغني» (8/ 136)، «مجموع الفتاوى» (24/ 316) (30/ 193، 204).



القاديانيّة

(الأحمديّة)


نجيب جلواح

مِن الفِرق الضّالة والطّوائف المنحرفة التي جاء التّحذير منها في الشّرع: فِرقة «القاديانيّة» المشهورة باسم «الأحمديّة»؛ نسبةً إلى مُؤسّسها.

■ التّعريف بـ «القاديانيّة» أو «الأحمديّة»:

«القاديانيّة»: هي دينٌ مُخْتَرَعٌ مُحدَث، ودعوة ضالّة، لا تمتّ إلى الإسلام بِصلة، ظهرت في أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي بقاديان، وهي إحدى قُرى البنجاب الهنديّة، لقيت تَشجيعًا كبيرًا مِن المحتلّ البريطاني - ويَكفيها بذلك شرًّا - بل نشأت بتخطيط منه، بغية إبعاد المسلمين عن دينهم الصّحيح، والتّعمير طويلاً في بلادهم. وكان لسانُ حال هذه الفرقة الضّالة: مَجلة «الأديان» الصّادرة باللّغتين: الإنجليزيّة والأورديّة.

وما أن اكتُشف أمرُ «القاديانيّة»، وأدرك العُقلاء مِن النّاس حقيقتَها، وأنّها مِن صُنع الإنجليز لِضرب الإسلام في الصّميم، حتّى سارعوا إلى تحويل اسمها إلى «الأحمديّة»؛ تلبيسًا على عوام النّاس بأنّها تَنتسب إلى نبيّنا ﷺ الذي مِن أسمائه: (أحمد) وإنْ كانت في الحقيقة نسبة إلى القادياني المسمّى كذبًا وزورًا بـ (أحمد)[1].

■ مُؤسّسُ «القاديانيّة» ومُنشئُها:

هو الميرزا غُلام أحمد بن مرتضى ابن عطاء القادياني، وقيل: يعود تاريخ عائلة مُؤسّس «الأحمديّة» إلى أصول فارسيّة، وكان أجداده قد تركوا خُراسان الفارسيّة في القَرن السادس عشر الميلادي.

ويُعتبر المِيرزا دجّالاً كذّابًا ممّن أخبر النّبيّ ﷺ أُمّته بخروج أمثاله قبل قيام السّاعة[2]، وُلد هذا (الغُلام) بقرية قاديان مِن بنجاب في الهند عام (1255هـ 1839م)، ونشأ في أُسرة تَدين بالوَلاء التّام للإنجليز، وكان والدُه عميلاً لهم كما يَعترف بذلك ابنُه، ولهم صداقة مع طائفة السِّيخ - ألدّ أعداء الإسلام في الهند - وسار الميرزا على خُطا أبيه، فعاش وفيًّا للمُحتلّ الكافر، الذي كافأه فاختاره لِتمثيل دَور المتنبّي الجديد ليلتفّ الغوغاءُ حولَه، وينشغلوا به عن جهاد عدوّهم.

■ مَراحل تَطوّر «القاديانيّة الأحمديّة»:

مرّت القاديانيّة - عُمومًا - بأربع مراحل، ثلاث منها في حال حياة الميرزا، والرّابعة بعد هلاكه:

1. **المرحلة الأُولى:** الدّعوة إلى الإسلام، وتجديد الدّين، ومُقارعة الخُصوم بالحُجّة:

بدأ المِيرزا نشاطَه - في أوّل أَمْره - يدعو النّاس إلى الإسلام ليلتفّوا حولَه، فنجح في جَذب الأتباع والأنصار، الذين أنزلوه منزلة رفيعة، فاغترّ بحاله فزعم أنّ الله أمره بالدّفاع عن عقيدة الإسلام، وقد استمرّت هذه المرحلة ثلاث عشرة

(1) وهناك فرقة ضالّة سبقت هذه وهي بالاسم نفسه: «الأحمديّة»، وقد تولّى شيخ الإسلام ابن تيميّة الرّدّ عليها في كُتبه؛ انظر: «مجموع الفتاوى» (2/58)، (11/330، 475)، (30/322).

(2) أخرج البخاري (3609) ومسلم (157) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «... وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».



سنة (1296هـ ـ 1308هـ/1879م ـ 1891م)، وفيها ادّعى الميرزا أنّه مُجدّد العَصر، وأنّ الله أَمَره أنْ يُصلح هذا العالَم. وأخذ نشاطُه في هذه المرحلة أشكالاً ثلاثة هي: جَمْع الأتباع والأنصار، ومُناظرة الخُصوم والمناوئين، وتأليف الكُتب. ولم يكن في البداية يدَّعي النّبوّة، بل نفى ذلك عن نفسه فقال: «ووالله إنّي لا أدّعي النّبوّة ولا أجاوز الملّة، ولا أغترف إلاّ من فضالة خاتم النّبيّين»[3].

2. المرحلة الثّانية: ادّعاء أنّه المهديّ المنتظر، ثمّ المسيح الموعود:

وبدأت هذه المرحلة سنة (1308هـ ـ 1891م) حين زعم الميرزا أنّه مُلْهَم من ربّه، وأنّ له مَعرفةً بعلم الغيب، والتّنبُّؤ بالمستقبَل، ثمّ تمادى في غيّه فادّعى أنّه المهدي المنتظَر، ثمّ المسيح ابن مريم ﷺ، وأقسم على هذه الفرية فقال: «والله إنّي أنا المسيح الموعود، وأعطاني ربّي سُلطانًا مُبينًا»[4]. في حين كان يَنتقص من المسيح ﷺ ويقول عنه: إنّه رجل خمّار، وسيّء السّيرة[5]. بل اتّهمه بالفساد ورمى أُمّه مريم بالزّنا، فقال ـ وبئس ما قال ـ: «إنّ أُسرة عيسى أُسرة عجيبة، كان جدّاته الثّلاث فاجرات زانيات... ولعلّه كان مَيلان عيسى إلى المومسات لهذه النّسبة»[6].

وزعم بأنّ عيسى ابن مريم ﷺ قد مات، وكذّب بعقيدة نُزوله، وأَوَّلَها بنُزول شَبيهه ومَثيله، فقال: «إنّ المسلمين والنّصارى يَعتقدون ـ باختلاف يَسير ـ أنّ المسيح ابن مريم قد رُفع إلى السّماء بجسده العُنصري، وأنّه سَينزل من السّماء في عَصْر من العُصور، وقد أثبتُّ في كتابي[7] أنّها عقيدة خاطئة!! وقد شرحتُ أنّه ليس المراد من النّزول هو نزول المسيح، بل هو إعلام عن طريق الاستعارة بقُدوم مَثيل المسيح!! وأنّ هذا العاجز ـ يعني نفسَه ـ هو مصداقُ هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام!!»[8].

ثمّ ارتقى في الكذب على الله، فانتقل من دعوى أنّه مَثيلُ المسيح ﷺ وشبيهُه إلى دَعوى أنّه هو المسيح ابن مريم نفسُه، فقال بصريح العبارة: «وهذا هو عيسى المرتقَب، وليس المراد بمريم وعيسى ـ في العبارات الإلهاميّة ـ إلاّ أنا»[9].

وادّعى المسكين أنّه يُوحى إليه كما يُوحى إلى النّبيّين والمرسلين، واخترع كتابًا أسماه: «الكتاب المبين»، فقال: «أنا على بَصيرة من ربٍّ وهّاب، بعثني الله على رأس المئة لأُجدّد الدّين، وأُنوّر وَجه الملّة، وأكسر الصّليب، وأُطفئ نار النّصرانيّة، وأُقيم سُنّة خير البَريّة، وأُصلِح ما فَسَد، وأُروّج ما كَسَد، وأنا المسيح الموعود، والمهدي المعهود، مَنَّ الله عليَّ بالوحي والإلهام، وكلّمني كما كلّم الرُّسل الكِرام»[10].

3. المرحلة الثّالثة: ادّعاء النُّبوّة:

وبدأت سنة (1319هـ ـ 1901م) لمّا رأى الميرزا أنّ دعواه هذه لم تلقَ رواجًا كبيرًا، ولم تُحقّق ما كان يُؤمّله، انتقل من دعوى كَونه هو المسيح ابن مريم ﷺ إلى دَعوى أنّه هو النّبيّ محمّد ﷺ!! وأنّ حقيقةَ النّبيّ تَجسدّت فيه، وأنّه قد بُعث مُجدَّدًا في شخص الميرزا، الذي يقول: «إنّ الله أنزل محمّدًا ﷺ مرّة أُخرى في قاديان ليُنجز وعده»[11]. وقال أيضًا: «المسيح الموعود: هو محمّد رسول الله، وقد جاء إلى الدّنيا مرّة أخرى لنشر الإسلام»[12]. وانتهى به الأمر إلى أنْ زعم أنّ نبوّته أعلى من نُبوّة جميع الأنبياء والمرسلين بما فيهم نبيّنا ﷺ، فقال: «جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدّم أحدٌ عليّ في معرفة الله، وكلّ ما أُعطي لجميع الأنبياء أُعطيت أنا وحدي بأكمله»[13].

ومن الغريب والمدهش أنّه كان يقول قبل هذا ـ وقد صدق وهو كذوب ـ: «إنّ مَن يدّعي النّبوّة بعد محمّد: أخو مُسيلمة الكذّاب، وكافرٌ، وخبيث»[14]. فقد حكم ـ بقوله هذا ـ على نفسه بالخُبث والكُفر، وأنّه أخو مُسيلمة، وحُقّ له ذلك.

ولم يَقف هذا الأفّاك عند هذه الفرية بل تعدّاها إلى القَول بأنّه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وزعم أنّ الله

---

(3) «الخزائن الدّفينة» (ص47).
(4) «الاستفتاء» (ص41).
(5) انظر: «ست بجن» (ص172).
(6) «أنجام آتهم» (ص7).
(7) ويعني: «فتح الإسلام».
(8) «ضميمة الوحي» (ص54).
(9) «إزالة أوهام» (ص659).
(10) «ضميمة الوحي» (ص22).
(11) «كلمة الفصل» لبشير أحمد القادياني (ص105).
(12) المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.
(13) «در ثمين» (ص287).
(14) «أنجام آتهم» (ص28).

تعالى خاطبه قائلا: «اسمع يا ولدي، يا شمس، يا قمر، أنت مِن مائنا، وهم مِن فَشل»[15].

ومع كلّ هذا الدّجل، ورغم هذه الدّعاوى الكاذبة التي ادّعاها الميرزا، غير أنّ كثيرًا مِن الدّهماء والغوغاء مِن أهل الجهل والمصالح الدُّنيويّة اتّبع دعوته، وكثّر سواده، لذا تعيّن الحذر منه والتّحذير مِن دعوته الباطلة.

وكان هلاك الميرزا بـ (لاهور) عن عمر 75 عامًا. ونُقلت جُثّته إلى قاديان وبها دُفن. وقد خلّف أكثر مِن خمسين كتابًا ومقالاً كلّها تدعو إلى ضلالاته وانحرافاته، ومِن أهمّ كُتبه: «فَصل الخِطاب»، «إزالة الأوهام»، «إعجاز أحمدي»، «براهين أحمديّة»، «أنوار الإسلام» ، «إعجاز المسيح»، «التّبليغ»، «تجلّيات إلهيّة»، «فتح الإسلام»....

4. المرحلة الرّابعة: ما بعد وَفاة القادياني:

بعد هلاك القادياني في (1326/4/25هـ) الموافق لـ (1908/5/26م) خَلَفه الحكيم نور الدّين، وهو الذي سبق أن اقترح على الغُلام الادّعاء بأنّه المسيح الموعود. وبُويع الحكيم بالخلافة بعد هلاك الميرزا، وكان يُلقّب بالخليفة الأوّل، إلى أنْ هلك عام (1332هـ - 1914م) فخلفه بشير الدّين محمود - ابن مُؤسّس الأحمديّة - الذي هلك بدوره عام (1384هـ - 1965م) ليخلفه الميرزا ناصر أحمد، الهالك عام (1402هـ - 1982م) ثمّ تلاه الميرزا طاهر أحمد، الذي هلك هو الآخر عام (1424هـ - 2003م)، وانتخبت الجماعة القاديانيّة مَسرور أحمد - المولود في (1369هـ - 1950م)، والمقيم في لندن!!. زعيمًا لها، وهو الخليفة الخامس، ولا يزال إلى الآن.

■ عقائد «القاديانيّة الأحمديّة»:

وهذه بعض ضلالات القوم وكفريَّاتهم، فهم يَعتقدون:

1. أنّ الله تعالى يُصلّي ويَصوم، ويُصيب ويخطئ، وينام ويَستيقظ، تعالى الله عن قولهم عُلوًّا كبيرًا، يقول الميرزا: «قال الله: إنّي مع الرّسول أُجيب، أُخطئ وأُصيب، إنّي مع الرّسول مُحيط !!... قال لي الله: إنّي أُصلّي وأصوم وأصحو وأنام»!![16].

ويَعتقد القادياني بأنّ إلهه الذي يُوحي إليه إنجليزي؛ لأنّه يُخاطبه باللّغة الإنجليزية !!

والله تعالى مُتّصفٌ بصفات الكمال، مُنزَّه عن صفات النّقص ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11].

2. وأنّ كتابَهم المنزَّل على نبيّهم المزعوم الميرزا اسمُه: (الكتاب المبين) وهو غير القُرآن الكريم!!

3. وأنّ النُّبوّة باقيةٌ بعد نبيّنا ﷺ وأنّها لم تُختم، بحُجّة أنّ جبريل عليه السلام كان يَنزل بالوحي على قَلب غُلام أحمد، الذي هو أفضل الأنبياء جميعًا - زعموا -!!

هذا، والإجماع مُنعقد على أنّه لا نبيّ بعد نبيِّنا ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40]، وروى البخاري (3455) ومسلم (1842) عن أبي هريرة - مرفوعًا -: «إِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي».

4. وأنّهم أصحاب دِين جديد، وشريعة مُستقلّة، وأنّ أتباع (الغُلام) كالصّحابة، بل لا فرقَ بين صحابة النّبيّ ﷺ رجال البعثة الأُولى، وبين تلاميذ الميرزا رجال البعثة الثّانية.

5. وأنّ الحجّ الأكبر: هو الحجّ إلى قاديان: ثالث الأماكن المقدّسة - مع مكّة والمدينة - بل هي - عندهم - أفضل منهما، وأرضها حَرَم وقِبلةٌ لهم، وأنَّ مَن حجّ إلى مكّة ولم يَذهب إلى قاديان ولم يَزُر قَبر الميرزا: فلا حجَّ له، فسَعوا بذلك إلى إلغاء الحجّ إلى مكّة وتحويله إلى قاديان. ولهذا لم يحجّ الميرزا البيتَ، بل لم يُعرف عنه أنّه دخل الحجاز أصلاً.

6. وأنّ الخمر والمسكرات، والأفيون والمخدّرات، ولَحم الخنزير، كلّ ذلك مِن المباحات!!

7. وأنّ جميع المسلمين - عندهم - كُفّار ما لم يُؤمنوا بالقاديانيّة، لذا لا يُصلّون على موتى المسلمين ولو كانوا صِغارًا لم يبلغوا الحُلُم، ولا يُصلُّون أيضًا خلف غيرهم حتى في الحرمين، ومَن فعلها فإنّما يَفعلها تَقيّة وعليه إعادتها، كما لا يُزوِّجون بناتهم إلاّ ممَّن كان على مَذهبهم، ومَن خالف: فهو كافر مُرتدّ، أمّا زواج القادياني مِن المسلمة فمسموح به عندهم؛ إنزالاً لها منزلة أهل الكتاب!![17].

8. وأنّ الجهاد مَنسوخ في هذا الزّمن، وأنّ طاعة الحُكومة الإنجليزيّة - مُحتلّة الهند وقتها - واجبة؛ لأنّها وليّ أَمْر المسلمين!! وأنّ الخُروج ضدّ الحُكم الإنجليزي خروجٌ على طاعة الله ورسوله[18].

وهذا يدلّ على أنّ القاديانيّة مِن

(15) «حقيقة الوحي» (ص73).

(16) «حقيقة الوحي» (ص92).

(17) انظر: «الخزائن الدّفينة» (ص400).

(18) انظر: «ترياق القلوب» (ص332).

صُنع الكفّار؛ ليصدّوا النّاس عن دينهم وعن فريضة الجهاد، وهو ما يُحقّق أَمل الإنجليز في حياة آمنة مُستقرّة بالهند؛ يقول الميرزا: «اليوم نُسخ الجهاد بالسّيف بإذن الله، فمَن حمل السّيف على كافر بعد اليوم وسمّى نفسه غازيًا فقد عصى رسول الله، الذي قال قبل ألف وثلاثمائة سنة: إنّ الجهاد بالسّيف يَنتهي بعد مَجيء المسيح الموعود... فلا جهاد بعد ظُهوري الآن»[19].

ويُصرّح بوَلائه التّام للإنجليز فيقول: «لقد قضيتُ مُعظم عُمري في تأييد الحكومة الإنجليزيّة ونصرتها»[20]، وكان يَسعد وأتباعُه حين سُقوط المسلمين في يد الاحتلال البريطاني؛ لأنّها كانت تمكّن له لنشر باطله في النّاس.

9. ويَعتقدون بتناسخ الأرواح؛ حيث زعم الميرزا أنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام وُلد بعد ألفين وخمسين سنةً في بيت عبد الله ابن عبد المطّلب!! مُتجسِّدًا في النّبيّ محمّد ﷺ، الذي حلّت حقيقتُه المحمّديّة في المتّبع الكامل له، ويعني نفسَه.

10. ويقولون بالحُلول، إذ ادّعى الميرزا أنّ الله تعالى حلّ فيه، فقال: «إنّ الله أُنزِل فيَّ، وأنا واسطةٌ بينه وبين المخلوقات كلّها... قال لي الرّبُّ: أنت منّي وأنا منكَ، ظهورك ظهوري»[21].

ولهم عقائد أُخرى باطلة، خرجوا بها عن سبيل المؤمنين، وخالفوا فيها الكتاب والسُّنّة، وفيما ذكرنا كفاية لمعرفة ضلالهم وزيغهم.

(19) «الخطبة الإلهاميّة».
(20) «ترياق القلوب» (ص15).
(21) «الوحي المقدّس» (ص650).

■ حُكم العلماء بكفر الطّائفة القاديانيّة:

انعقد مُؤتمرٌ برابطة العالم الإسلامي في مكّة في شهر ربيع الأوّل عام 1394هـ الموافق لـ أبريل 1974م أُعلن في ختامه: كُفر هذه الطّائفة الضّالة وخُروجها عن الإسلام.

وقد صدرت فتاوى مُتعدّدة من مجامع وهيئات شرعيّة في العالم الإسلامي، تَقضي بكُفر القاديانيّة، وأنّ مُعتنقيها مُرتدّون خارجون من الملّة، لا يُصلّى على موتاهم، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين، ومن هذه الهيئات:

المجمع الفقهي التّابع لرابطة العالم الإسلامي، المجتمِع في 1398/8/10هـ الموافق لـ 1978/7/15م والمنعقد بمكّة.

وكذا هيئة كبار العُلماء بالمملكة العربيّة السُّعوديّة.

ويعيش القاديانيّون اليوم في الهند وباكستان، وفي بعض الدّول الغَربيّة، ولهم نشاط مُكثّف في قارّة إفريقيا، إذ لهم فيها ما يزيد على خمسة آلاف مُرشد وداعية، مُكلّفين بدعوة النّاس إلى الأحمديّة، التي تحظى بعناية كبيرة من الحكومة الإنجليزيّة، وتسهِّل لأتباع هذا المذهب في نيل الوظائف الحسّاسة وإدارة الشّركات العالميّة، وكلّ هذا لصرف النّاس عن دين الحقّ، وجعلهم أتباعًا للمتنبّي الجديد الميرزا.

ويَستعمل القاديانيّون لتحقيق مُخطّطهم التّرهيب شتّى الوسائل، من الإغراء بالمال والمنصب، وذلك بشراء ذمم النّاس بالمادّة عن طريق إعاناتهم بعض الفقراء ومساومتهم في دينهم، وكذا استعمال الوسائل الحديثة، من نشر باطلهم عبر الشّبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ولهم قناة فضائية تُبثّ من أرض حليفتهم بريطانيا باسم (التّلفزيون الإسلامي) أو (القناة الإسلامية) (MTA) - تدليسًا وتضليلاً - وبلُغات مُختلفة، كما أنّ لهم مَجلّة «البُشرى» الصّادرة في فلسطين المحتلّة، بإقرار من بني صُهيون، الذين لهم معهم علاقات وطيدة، وقد فتحتوا لهم المدارس والمراكز، وهيّأوا لهم المطابع لتوزيع كتبهم ونشر دعوتهم. وهذه المجلّة القاديانيّة هي الوحيدة في الدّيار العربيّة، ولا تزال تَصدر إلى اليوم.

والأدهى والأمر في هذا أنّك تجد بعض كتبهم - التي تحمل الكفر الصّريح - مطبوعة بإذن وموافقة، بل بتقديم من شيخ الأزهر السّابق!! فإلى الله المُشتكى.

وفي الختام أسأل الله تعالى أنْ يَقي العباد والبلاد من مكر الماكرين، وشرّ الضّالين، وأنْ يحفظ لنا عقيدتنا وديننا، ويُحيينا مُسلمين ويُميتنا مُؤمنين، ويُلحقنا بالصّالحين، آمين والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين[22].

⌑ ⌑ ⌑

(22) وللتّوسُّع في الموضوع انظرْ:
- «القاديانية»: إحسان إلهي ظهير.
- «القاديانيّة»: محمّد الخضر حسين.
- «طغمة القاديانيّة الكاذبة»: محمّد حامد الفقّي.
- «حول القاديانيّة»: عبد الرّحمن الوكيل.
- «سبّ القاديانيّين للإسلام وتسميته الشّجرة الملعونة»: محمّد تقيّ الدّين الهلالي.
- «القاديانيّة ودعايتها الضّالّة والرّدّ عليها»: أحمد بن حجر آل بوطامي.
- «تاريخ القاديانيّة»: ثناء الله تسري.
- «المذهب القادياني»: إلياس برني.

ما خافه النَّبيُّ ﷺ على أمَّتِه

نسيم بوقرين
إمام خطيب . الجزائر

إنَّ الله تعالى قد وصف نبيَّه ﷺ بوصف عظيم فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

قال العلاَّمة السَّعدي في «تفسيره» (356): «يمتنُّ تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النَّبيَّ الأميَّ الَّذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكَّنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النُّصح لهم، والسَّعي في مصالحهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشقُّ عليه الأمر الَّذي يشقُّ عليكم ويعنتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فيحبُّ لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشَّرَّ، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: شديد الرَّأفة والرَّحمة بهم، أرحم بهم من والديهم».

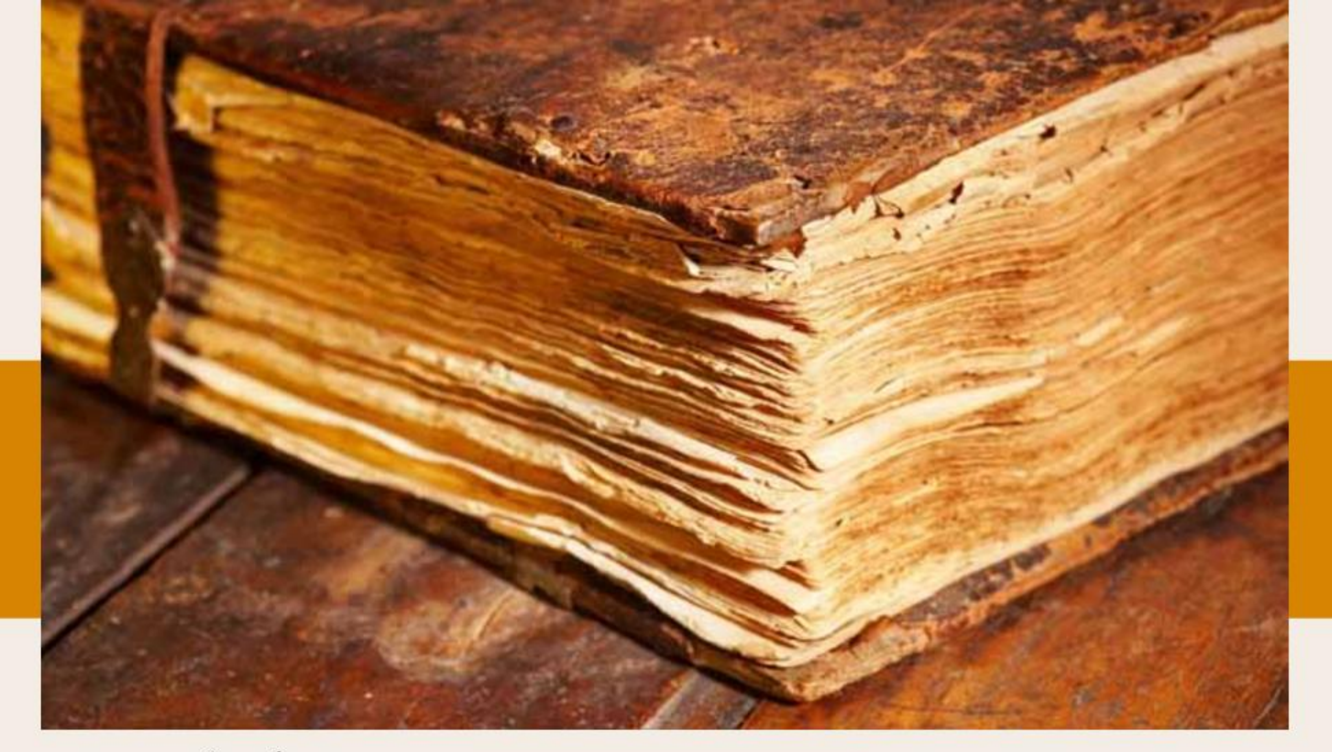
وقد تجلَّت هذه الصِّفات فيما نقله الصَّحابة عن نبيِّهم الكريم ﷺ من أحاديث تبيِّن حرصه وشفقته على أمَّته، وخوفه عليهم . صلوات ربِّي وسلامه عليه .، وقد جمعتُ طائفةً من الأحاديث الَّتي ذُكر فيها خوفه على أمَّته من خصالٍ وأعمالٍ يلزم المسلم أن يخاف منها امتثالاً لنهي النَّبيِّ الكريم ﷺ، فيحذرها ويبتعد عنها، ومن أعظم الغُبن والخُسران والحرمان ألاَّ يكترث كثير من المسلمين بهذه الأمور الَّتي خافها نبيُّنا ﷺ على أمَّته، بل يتلبَّسون بها ويقعون فيها، والله المستعان، لكن عسى في بيان معاني هذه الأحاديث أن تحدث الذِّكرى والله الموفّق.

الرِّياء

روى الإمام أحمد (23630) . وجوَّدَ إسناده الألباني في «الصَّحيحة» (951) . عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قال: «الرِّياء، يَقُولُ اللهُ . عز وجل . لهم يَوْمَ القِيَامَةِ إذا جُزِيَ النَّاسُ بأعمَالهم: اذْهَبُوا إلى الَّذينَ كنتم تُرَاءُونَ في الدُّنيا فانْظُرُوا هل تَجِدُون عِنْدَهُم جَزَاءً».

والرِّياء كما قال الصَّنعاني في «سبل السَّلام» (535/4): «أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَتْرُكَ المَعْصِيَةَ مَعَ مُلَاحَظَةِ غَيْرِ اللهِ أَوْ يُخْبِرَ بِهَا أَوْ يُحِبَّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا لِمَقْصِدٍ دُنْيَوِيٍّ مِنْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ في كِتَابِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقينَ في قَوْلِهِ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، وقَالَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ]، وَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤﴾ [سُورَةُ المَاعُونِ]، إلى قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦﴾ [سُورَةُ المَاعُونِ].

وَوَرَدَ فيه من الأَحَاديث الكَثيرَة الطَّيِّبَة الدَّالَّة عَلَى عَظَمَة عِقَاب المُرَائي؛ فَإِنَّهُ في الحَقيقَة عَابِدٌ لِغَيْرِ اللهِ، وفي الحَديث القُدْسيِّ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عملَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْري فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا عَنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ عَنِ الشِّرْك».



وروى ابنُ ماجه (4204) وحسَّنه الألباني عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قلنا: بلى يا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رجل».

والمعنى أَلاَ أُعَلِّمُكُمْ «بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ» أَيْ: لعُمُومه وَخَفَائه، «مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»، أَيْ لخُصُوصِ وَقْته، وَلظُهُورِ مَقْته، «الشِّرْكُ الخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ فَيَزِيدَ فِي كَمِّيَّةِ صلاته أو كَيْفِيَّتها لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ مَخْلُوقٍ مثله إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِاطِّلاَعِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ»[1].

فعلى العبد المسلم أن يبتعد عن الرِّياء، ويقصد بعمله وجهَ الله تعالى؛ لأنَّ الله يجازي صاحبَ الإخلاص بالثَّواب، وأمَّا المرائي فيعاقبه سبحانه بعقاب شديد، حيث يفضحه على رُؤوس الأشهاد، ويوبِّخه بطلب الثَّواب عند الَّذين كان يرائي لهم، وبالتَّأكيد لن يجد ثواب ذلك من مخلوق ضعيف مثله، وممَّا يخوِّف العبد من الرِّياء أنَّ النَّبيَّ ﷺ جعله أعظم من فتنة المسيح الدجَّال.

(1) انظر «المرقاة» للقاري (9/ 517).

زهرة الحياة الدُّنيا، والمنافسة فيها

روى البخاري (1465)، ومسلم (1052) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» وفي رواية البخاري (6426)، ومسلم (2296) من حديث عقبة بن عامر ﷺ: «وَإِنِّي واللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

ففي الحديث التَّحْذِيرُ من الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَالمُفَاخَرَةِ بِهَا والمنافسة فيها[2].

قال القاري في «المرقاة» (9/357): «والمعنى أنِّي أخاف عَلَيْكُمْ أَنَّ كَثْرَةَ أَمْوَالِكُمْ عِنْدَ فَتْحِ بلادكُمْ تَمْنَعُكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَشْغَلُكُمْ عَنِ العُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُحْدِثُ فِيكُمُ الأَخْلاقَ الدَّنِيَّةَ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالعُجْبِ وَالغُرُورِ وَمَحَبَّةِ المَالِ وَالجَاهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنْ لَوَازِمِ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِلمَوْتِ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الأَحْوَالِ الأُخْرَوِيَّةِ».

(2) انظر «شرح مسلم» للنَّووي (4/ 162)، و«فتح الباري» لابن حجر (11/ 341).

ومن أعلام نُبوَّته أنَّه حصل ما أخبر به ﷺ، فقد وقع التَّنافس على الدُّنيا، ووقع التَّقاطع والتَّدابر الَّذي أهلك النَّاس - والعياذ بالله -، فلْيَحرص النَّاصح لنفسه أن يزهد في الدُّنيا ومُتَعها، وليرغب في الدَّار الآخرة، فإذا فعل ذلك قلَّ حرصه وتنافسه على مُتَعِ هذه الدَّار ولم يُعادِ من أجلها أحدًا.

أئمَّة الضَّلال

روى الإمام أحمد (27485) وصحَّحه الألباني بطرقه في «الصَّحيحة» (1582)، عن أبي الدَّرداء أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: عَهِدَ إلينا رسولُ الله «أنَّ أَخوَفَ ما أخاف عليكم الأئمَّة المضلُّون».

قال الصَّنعاني في «التَّنوير» (3/568): «إنَّ أخوف ما أخاف» أشد خوفي «على أمَّتي» في دينها ودنياها «الأئمَّة المضلُّون»... وذلك لأنَّ الباعث على طاعتهم في هواهم ومتابعتهم في دعواهم ما في أيديهم ممَّا جبلت النُّفوس على طلبه من المال والشَّرف فيفسد بفسادهم غالب الأمَّة».

«كان ﷺ حريصًا على إصلاح أمَّته راغبًا في دوام خيريتها فخاف عليهم فساد الأئمَّة لأنَّ بفسادهم يفسد النِّظام لكونهم قادة الأنام فإذا فسدوا فسدت الرَّعيَّة وكذا العلماء إذا فسدوا فسد الجمهور من حيث إنَّهم مصابيح الظَّلام»[3].

إنَّ فساد الحكَّام والعلماء يعني فسادَ النَّاس؛ لأنَّ الحكَّام إذا فسدوا حملوا رعاياهم على الشرِّ والفساد في باب العقائد والأخلاق والأعمال، قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (214/7) تحت قول أبي بكر الصدِّيق «بقاؤكم ما استقامت بكم أئمَّتكم» لمَّا سألَتْه المرأةُ من أحمس: «ما بقاؤنا على هذا الأمر الصَّالح الَّذي جاء به بعد الجاهليَّة»: «قَوْلُهُ: «مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الأَمْرِ الصَّالِحِ» أَيْ دِينِ الإِسْلَامِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ العَدْلِ وَاجْتِمَاعِ الكَلِمَةِ وَنَصْرِ المَظْلُومِ وَوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ؛ قَوْلُهُ: «مَا اسْتَقَامَتْ بِكُم» فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيِّ: «لَكُمْ»، قَوْلُهُ: «أَئِمَّتُكُمْ» أَيْ لأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِم فَمَنْ حَادَ مِنَ الأَئِمَّةِ عَنِ الحَالِ مَالَ وَأَمَالَ»، وقال ابن كثير في «البداية والنِّهاية» (165/9): «والنَّاس يقولون: النَّاس على دين مليكهم، إن كان خمارًا كثُر الخمر، وإن كان لوطيًّا فكذلك وإن كان شحيحًا حريصًا كان النَّاس كذلك، وإن كان جوادًا كريمًا شجاعًا كان النَّاس كذلك، وإن كان طمَّاعًا ظلومًا غشومًا فكذلك، وإن كان ذا دينٍ وتقوى وبرٍّ وإحسان كان النَّاس كذلك وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص، والله أعلم».

وجادَّةُ السَّلف فيما يتعلَّق بالحُكَّام وفسادهم هو إنكار المنكر وبيان بطلانه وفساده وتحذير النَّاس منه، لكن من غير تهييج على الحكَّام أو إثارة النَّاس عليهم، وعدم الخروج عليهم وشقِّ عصا الطَّاعة عنهم، بل يبذل أهل السنَّة النُّصح لهم ويرشدونهم سرًّا، مع الدُّعاء لهم أن يصلحهم الله.

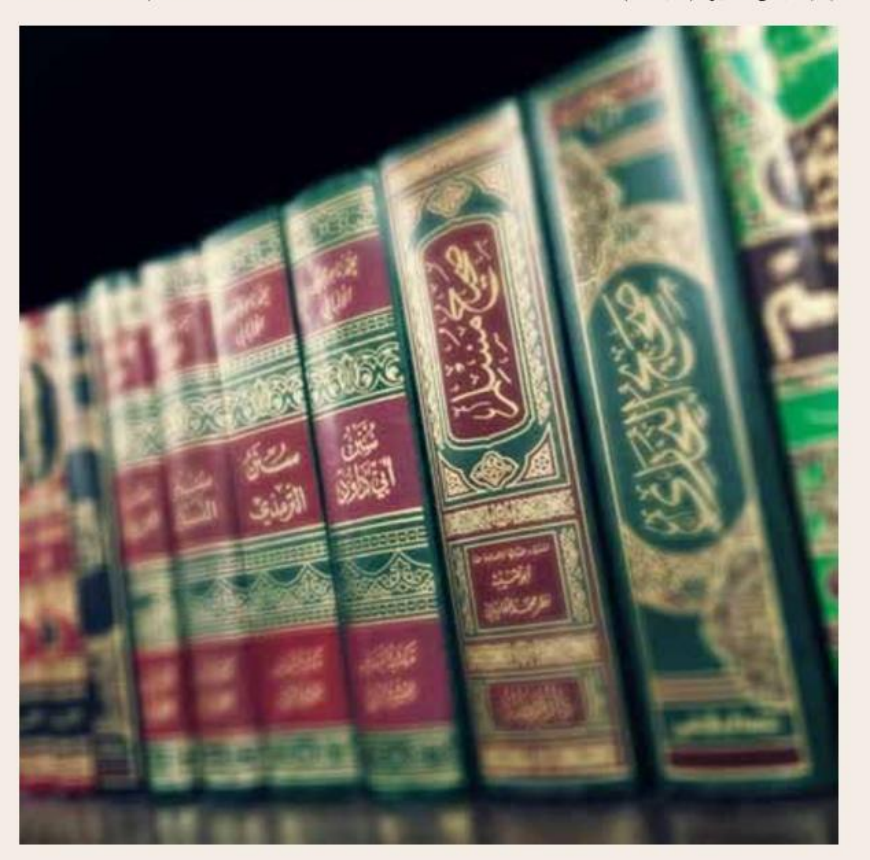
وأمَّا فساد العلماء فبتزيينهم للنَّاس الباطل، ولهذا اشتدَّ نكيرُ السَّلف على أهل البدع وصاحوا بهم في كلِّ قطر لعظم ضررهم وشرِّهم، وأجمعوا على هجرانهم وبُغضهم وتحذير النَّاس منهم والتَّنفير من بدعهم، وممَّا يستفاد من الحديث أيضًا:

أ ـ أنَّه لا يغترُّ بألقاب أهل الضَّلال ورُتبهم وعلومهم وما يظهرونه من زهدٍ وعبادةٍ وأخلاقٍ فهم أئمَّة ضلال ودعاة باطل.

ب ـ أنَّه ينبغي أن يُخوَّف النَّاس ممَّا خافه نبيُّنا على أمَّته، وذلك ببيان شرِّ هؤلاء، وما هم فيه من الباطل، وتحذير النَّاس منهم ولو اقتضى الأمر تسميتهم بأعيانهم كما هي طريقة سلفنا الصَّالح.

ج ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خاف على أمَّته أئمَّة الباطل، وفي هذا أبلغ الردّ على الَّذين يَقْصُرون إنكارهم على البدعة دون من يحملها، فقد صار من الفقه عند بعض

(3) «فيض القدير» (2/ 419).



النَّاس أنَّـه لا يعترض على الأشخاص وإنَّمـا يعترض ويرد على الأفكار، وهذا يتنافى مع هـذا الحديث وفهم سلفنا الصَّالح لهذا الدِّين حيث حذَّروا من أهل الباطل بأشخاصهم، وهل يُعقل أن تنتشر البدعة إلاَّ بوجود من يحملها، ويروِّج لها، ويدعو إليها، وفي الحديث أيضًا ردٌّ على الَّذين يهوِّنون الخلاف مع دعاة الباطل بحجَّة تفريق الصفِّ أو الاشتغال بالعدوِّ الخارجي، فالنَّاصح الأمين خاف علينا من هؤلاء المبطلين حتَّى نحذرهم ونحذِّر منهم النَّاس لا أن ننبري للدِّفاع عنهم كما صارت طريقة من يلبس لباس السنَّة اليوم في الاعتذار لأهل البدع بقواعد أسَّسوها من بُنَيَّات أفكارهم في قالب الوسطيَّة والاعتدال.

الإيمان بالنُّجوم والتَّكذيب بالقدر وظلم السُّلطان

روى أبو عمرو الدَّاني في «السُّنن الواردة في الفتن وغوائلها والسَّاعة وأشراطها» (282) عن ليث بن أبي سُليم عن طلحة بن مُصَرِّف رَفَعَه إلى النَّبي ﷺ: «إنَّ أخوف ما أتخوَّفه على أمَّتي آخر الزَّمان ثلاثًا: إيمانًا بالنُّجوم وتكذيبًا بالقدر وحيف السُّلطان»، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (1127)، بمجموع الشَّواهد.

قال المناوي في «التَّيسير شرح الجامع الصَّغير» (48/1): ««حيف الأئمَّة» أَي: جور الإِمَام الأَعْظَم ونوَّابه «وإيمانًا بالنُّجوم» أَي تَصْدِيقًا باعتقاد أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا فَالْمُرَاد أحد قسمي علم النُّجُوم وَهُوَ علم التَّأْثِير لاَ التَّسيير... «وتكذيبًا بالقدر» أَي بِأَن الله تَعَالَى قدَّر الخَيْر وَالشَّر وَمِنْه النَّفْع والضَّر».

في هذه الأحاديث خاف النَّبيُّ ﷺ من جور السُّلطان وظلمهم، وقد سبق بيانُ جادَّة السَّلف في هذا الباب، ومن طريقة أَهلِ السُّنَّة في معالجة ظُلم السُّلطان أَنَّهم يربطون النَّاس بالمعاني الشَّرعيَّة ببيان أنَّ ظلمَ السُّلطان لرعيَّته بسبب ظُلمهم لأنفسهم وتركهم لشرع ربِّهم، فالحكَّام في الحقيقة هم صور لأعمال النَّاس وأفعالهم، فيحملونهم على التَّوبة والإصلاح، ويبيِّنون لهم أنَّ تغيير الحكَّام لا يكون إلاَّ على الطَّريقة الشَّرعيَّة بالاستقامة على دينِ الله تعلُّمًا وعملاً ودعوةً إلى الله حتَّى يكتمل المجتمعُ المسلم فيزاح الباطل بشتَّى أنواع صوره من حياتهم، ومن طريقتهم أنَّهم يعتقدون ما ورد عن نبيِّهم ﷺ في طاعة الحكَّام الظَّلمة في غير معصية الله دينًا يدينون به ربَّهم، ولا يسمعون تزلُّفًا وطمعًا في دنيا الولاة أو جبنًا وخورًا واستسلامًا كما يصوِّره أعداء هذه الدَّعوة.

وممَّا خافه النَّبيُّ ﷺ على أمَّته الإيمانُ بالنُّجوم واعتقادُ تأثيرها في الحوادث الأرضيَّة، وهذا من الباطل أن يكون لهذه المخلوقات أثرٌ فيما يقع للنَّاس، وقد استجدَّت اليوم وسائل التَّنجيم بعدما كانت محصورةً في الزَّمان الأوَّل في أشخاص يُذهَب إليهم، فصار الاعتقادُ في النُّجوم يدخل عقر الدِّيار عبر قنوات فضائيَّة متخصِّصة في الأبراج، وكذلك الانترنت ناهيك عن الصُّحف والمجلاَّت فليحذر المرء من الاطِّلاع عليها أو قراءتها ولو لم يعتقدها.

وممَّا خافه النَّبيُّ ﷺ ما يتعلَّق بأحد أركان الإيمان وهو نظام التَّوحيد ألا هو القدر، فيجب على المرء أن يكون موافقًا للاعتقاد الصَّحيح في هذا الباب، مؤمنًا بمشيئة الله النَّافذة، وعلمه الشَّامل فيما قدَّره وقضاه مع الإيمان بكتابة مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، واعتقاد أنَّ أفعال العباد مخلوقة لله، وهذه المراتب لا تتنافى مع كون العبد له مشيئة وإرادة يفعل بها.

ومن شواهد الحديث حديث أبي الدَّرداء مرفوعًا بلفظ: «أَخَافُ على أُمَّتي ثَلاَثًا: زَلَّةُ عَالم وجِدَالُ مُنَافِقٍ بالقُرْآنِ والتَّكذيبُ بالقَدَرِ».

رواه الطَّبراني في «الكبير» (282) عن عمران ﷺ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1554) بلفظ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَليم اللِّسَانِ».

فممَّا خافه النَّبيُّ ﷺ على أمَّته المنافق العليم اللِّسان، بحيث يظهر للنَّاس الباطل ويزيِّنه لهم بما أوتي من جمال العبارة وحلاوة المنطق، ولأهل البدع نصيب من هذا الوصف حيث يزيِّنون للنَّاس المحدثات بألسنتهم حتَّى يخيَّل أنَّها الحق، ومن هؤلاء القُصَّاص والوعَّاظ الَّذين يشحنون مجالسهم بالأحاديث الضَّعيفة والقصص المكذوبة والمنامات المختلقة ويجدون لها سوقًا رائجًا في ضعاف النَّاس بسبب ما أوتوه من الفصاحة والبيان، فليحذر المرء من هؤلاء، ولا يغترَّ بهم، وليأخذ دينه عن الأثبات الأمناء الأكفاء، وليدع طريقة القصَّاص الَّذين يثيرون عواطف النَّاس من غير علم، ففرق بين من أوتي بيانًا ومن أوتي علمًا راسخًا.

عَمَلُ قومِ لوط

أخرج أحمد (15093) والتِّرمذي (1457) وابن ماجه (2563) وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1552) عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ على أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ».

قال المناوي في «فيض القدير» (390/1): «عبر به تَلْوِيحًا بكونهم الفاعلين لذَلِك ابْتِدَاء وَأَنَّه من أقبح القَبِيح لأَنَّ كلَّ مَا أوجده الله فِي هَذَا العَالم جعله لفعل خَاص لاَ يصلح لغيره وَجعل الذّكر للفاعليَّة وَالأُنْثَى للمفعوليَّة فَمن عكس فقد أبطل الحكمة الرَّبَّانيَّة».

تالله إنَّ هذا الفعل من الفاحشة النَّكراء الَّتي بلغت في الفحش مبلغًا عظيمًا؛ إذ هي قلبٌ للفطرة، وقتلٌ للحياء، وجنايةٌ على النَّفس أن يتجرَّأ العبد على هذه الكبيرة من كبائر الذُّنوب، ويتهاون فيها، وقد دخل على ديار المسلمين من هذا البلاء والفحش ما تشمئزُّ منه النُّفوس السَّويَّة والفطر المستقيمة، فنسأل الله أن يطهِّر الأرضَ من هذه المنكرات إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

الشَّهوة الخفيَّة

روى أبو نُعَيم في «الحلية» (122/7)، والبيهقي في «الزُّهد» (316) وهو في «السِّلسلة الصَّحيحة» (508) عن عبَّاد ابنِ تميم عن عمِّه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يا نَعَايَا العَرَبِ! يا نعايا العرب! ثلاثًا، إنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءُ والشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ».

قال ابنُ الأثير في «النِّهاية» (928): «فأمَّا قوله «يا نَعَاءِ العرب» مع حرف النِّداء، فالمنادى محذوف تقديره يا هذا انْعَ العرب، أو يا هؤلاء انْعَوُا العربَ بموت فلان؛ كقوله تعالى: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ أي يا هؤلاء اسجدوا، فيمن قرأ بتخفيف ألا».

والشَّهْوَةُ هنا، قيل: هي شَهْوَةُ النِّسَاء وقيل كُلُّ المَعَاصِي، وقيل: إنَّهُ يُرِي النَّاسَ أَنَّهُ تَارِكٌ للمَعَاصِي وَالشَّهْوَةِ وَيُخْفِي شَهْوَةً لَهَا فِي قَلْبِهِ فَإِذَا خَلا بِنَفْسِهِ عَمِلَهَا فِي خُفْيَةٍ.

وَقيل: الرِّيَاءُ مَا كَانَ ظَاهِرًا وَالشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ حبُّ اطِّلاع النَّاسِ عَلَى العَمَلِ ورجَّح السُّيوطي الزِّيادةَ الواردة فِي بَعْضِ طُرُقِ الحَدِيث، قِيلَ: وَمَا الشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ؟ قَالَ: «يُصْبِحُ العَبْدُ صَائِمًا فَيَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِه فَيُوَافِقُهَا وَيَدَعُ صَوْمَهُ»، وَقَالَ: «حَيْثُمَا وَرَدَ التَّفْسِيرُ فِي تَتِمَّة الحَدِيث مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ فَلاَ يُعْدَلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ»[4].

فظهر من الحديث أنَّ الشَّهوةَ الخفيَّةَ إمَّا أن تكون مُطلَقَ المعاصي، ومنها ما يتعلَّق بشهوة النِّساء والنَّظر إليهنَّ ومحاسنهنَّ، وإمَّا أن تكون بمعنى إظهار للنَّاس غير ما يُخفي حيث يظهر للنَّاس بُعدَه عن المعاصي والآثام ثمَّ إذا خلا بنفسه أقبل على شهواته وملذَّاته ـ والله المستعان ـ فتكون مخالفته من قبيل ذنوب الخلوات، والمؤمن لا يليق به هذا الأمر أن يكون وليًّا لله في العلن عدوًّا له في السِّرِّ، بل يراقب ربَّه في جميع أحواله، بل ممَّا يزن به العبدُ قوَّةَ إيمانه ما يتعلَّق بخشية الله ومراقبته في الخلوات حيث لا يراه أحدٌ من النَّاس.

ويحتمل الحديث ما ذكره ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الشَّهوة الخفيَّة أنَّه يحبُّ أن يطَّلع النَّاس على عمله الَّذي عمله فينال ثناء النَّاس ومدحهم له[5]، والحديث الَّذي أشار إليه السُّيوطي رواه أحمد في «المسند» (17120) ولفظه: «والشَّهوة الخفيَّة أن يصبح أحدهم صائمًا، فتعرض له شهوة من شهواته، فيترك الصِّيام»، والحاكم في «المستدرك» (7940) ولفظه: «يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فتَعْرِضُ له شَهْوَةٌ من شَهَوَات الدُّنيا فيُفطر» وهو حديث لا يصحُّ آفته في الطَّريقين عبد الواحد ابن زيد وهو متروك.

الانسلاخ عن العلم والغلوّ في الدِّين وتكفير المسلمين

روى البزَّار في «مسنده» (2793) وابن حبَّان في «صحيحه» (81) وغيرهما من طريق الحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جُنْدُبٌ، فِي هَذَا المَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ البَصْرَةِ، أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ ما أتخوَّف عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ، حتَّى إذا رُئِيَتْ بَهجَتُه عليه، وكان رِدْءًا للإسلام؛ غَيَّرَهُ إلى ما شاء الله، فانْسَلَخَ منه ونَبَذَهُ وراءَ ظَهْره، وسَعَى على جَاره بالسَّيف، ورَمَاه بالشِّرك»، قلتُ: يا نبيَّ الله! أيُّهما أولى بالشِّرك، المَرْميُّ أم الرَّامي؟ قال: «بَل الرَّامي»، «السِّلسة

(4) انظر «شرح سنن ابن ماجه» السُّيوطي (ص310).

(5) انظر «غريب الحديث» (1/ 571).

الصَّحيحة» (3201).

وهذا الحديث يدلُّ على خطورة الغلوِّ في الدِّين والانحراف عن الحقِّ ومجانبة ما كان عليه أهل السنَّة والجماعة، كما أفاده الشَّيخ عبد المحسن العبَّاد في رسالته «بأيِّ عقلٍ ودينٍ يكون التَّفجيرُ والتَّدميرُ ديناً» (ص13).

وممَّا يدلُّ عليه الحديث أنَّ الرَّجل قد يُفتَحُ له من العلم ثمَّ ينسلخ عنه ولا يعمل به، بل يضلُّ عن الحقِّ وجادَّة الصَّواب، وهذا المعنى كما ذكره الحافظ ابنُ كثير في «تفسيره» حين أورد هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف]، قال رحمه الله في «تفسيره» (1233/2): «وقد ورد في معنى هذه الآية حديثٌ رواه الحافظُ أبو يعلى الموصلي في «مُسْنَدِه»»، وذكره.

قال ابن السَّعدي في شرح هذا المثل في تفسيره (ص 350): «يقول تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ (ص309) أي: علَّمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النَّحرير.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: انسلخ من الاتِّصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإنَّ العلم بذلك، يُصيِّر صاحبه متَّصفًا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدَّرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق الَّتي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللِّباس.

فلمَّا انسلخ منها أتبعه الشَّيطان، أي: تسلَّط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزًّا.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ بعد أن كان من الرَّاشدين المرشدين.

وهذا لأنَّ الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا ﴾ بأن نوفِّقه للعمل بها، فيرتفع في الدُّنيا والآخرة، فيتحصَّن من أعدائه، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ﴾ فعل ما يقتضي الخذلان، فَأَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ، أي: إلى الشَّهوات السفليَّة، والمقاصد الدُّنيويَّة، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وترك طاعة مولاه، ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في شدَّة حرصه على الدُّنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ أي: لا يزال لاهثًا في كلِّ حال، وهذا لا يزال حريصًا، حرصًا قاطعًا قلبه، لا يسدّ فاقته شيء من الدُّنيا» اهـ.

ومن الانسلاخ الَّذي دلَّت عليه الآية والحديث أنَّ القرآن يهدي للَّتي هي أقوم في باب الأحكام فلا يكفِّر إلاَّ من كفَّره الله ورسوله، بحيث تقوم البيِّنة على تكفيره مع تحقُّق الشُّروط وانتفاء الموانع، فيقع هذا الرَّجل في الغلوِّ ويرمي المسلم بما هو بريء منه ويستحلّ دمه ويرفع عليه السَّيف.

وممَّا يُفهم من الحديث خطورة التَّكفير، وأنَّ الرَّامي المسلمَ بالشِّرك يعود عليه الحُكم؛ لأنَّه لم يصب الحقَّ في حكمه الجائر.

وممَّا يُفهم من الحديث خطورة من يكون عليم اللِّسان يتكلَّم بالحكمة والقرآن، لكنَّه ينحرف عن الحقِّ والصَّواب ويقع في مثل هذه المزالق الخطيرة من تكفير المسلمين، وهاهم الخوارج اليوم يُظهرون من قول خير البريَّة ومع ذلك فهم شرٌّ ووبال ودمار على أمَّة الإسلام والله المستعان.

وخلاصة القول إنَّ ممَّا خافه نبيُّنا ﷺ على أمَّته أقوام يفتح عليهم العلم ثمَّ ينحرفون عن الحقِّ، ويغلون في دين الله تعالى ومن صور هذا الغلوِّ والانحراف، وتكفير المسلمين بغير حقٍّ ورفع السِّلاح في وجوههم، والله أعلى وأعلم.

¤ ¤ ¤





أ.د.محمد علي فركوس
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

في حُكم المال المدفوع للعامل العاطل بلا تفريطٍ منه

■ **السؤال:**

أنا شابٌّ متحصِّلٌ على شهادة اللِّيسانس في المحاسبة . والحمد لله ،. وقد استفدتُ من برنامج إدماج الشَّباب عن طريق وكالة التَّشغيل على مستوى ولايتي للعمل مع مقاولٍ خاصٍّ، وتتكفَّل الدَّولةُ بدفع الرَّاتب على مدى عام، وذلك حَسَبَ العقد المتَّفق عليه بين الأطراف، غير أنَّ المشكلَ الَّذي يُؤَرِّقني أنَّ صاحب العمل «المقاول» استغنى عن خدماتي، وقال لي إنَّه مُكْتَفٍ حاليًّا رغم إلحاحي على العمل، وأكَّد لي أنَّه سيستدعيني حين الحاجة، والظَّاهرُ أنَّه لم ولن يستدعيَني.

وقد دُفعَتْ رواتبُ الأشهر الأولى في حسابي البريديِّ الجاري، وأنا عاطلٌ عن العمل، إلاَّ في بعض الأحيان حيث أعمل دهَّانًا لكسب قوت اليوم، وأنا اليوم في حيرةٍ من مشروعيَّة هذه الرَّواتب، مع العلم أنَّني في أَمَسِّ الحاجة لهذه الأموال. أفتونا مأجورين حفظكم الله.

ooo

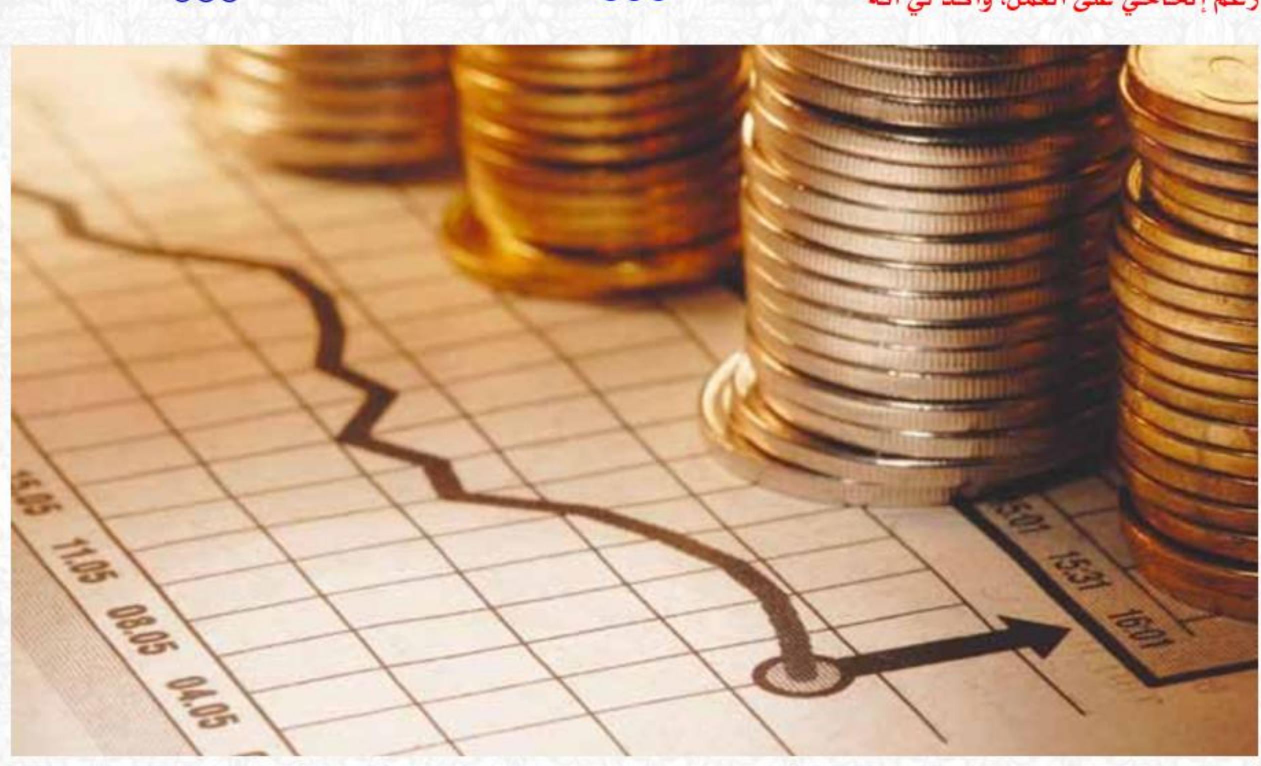
■ **الجواب:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فالواجبُ أَنْ يَرْجِعَ المستفيدُ مُفْصِحًا عن أمرِ عمله إلى الجهةِ المسئولةِ عن دفعِ الرَّواتبِ لمدَّةِ سنةٍ على مستوى ولايته، لكونِها صاحبةَ المالِ والمسئولةَ عنه، فإنْ أجازتْه بهذه الصُّورةِ الواردةِ في السُّؤالِ فيُشْرَعُ له الاستفادةُ من مالِها ولو تعطَّل عن العملِ بلا تفريطٍ منه، وإن كانتِ الأخرى فعليها توجيهُه بما يحقِّق الصِّفةَ الشَّرعيَّةَ للتَّكسُّب.

والعلمُ عند اللهِ تعالى.

ooo



في حُكم العوض المالي المشترط لضمان الصَّفقات العموميَّة

■ **السؤال:**

هل يجوز التَّعاملُ مع صندوقِ ضمانِ الصَّفقات العموميَّةِ الَّذي تُظهر طريقة عمله كالآتي:

عند حصولِ المقاولِ على مشروعٍ ما، يقوم برَهْنِ عقارٍ أو وسائلِ إنتاجٍ أو نقلٍ لدى هذا الصُّندوقِ، الَّذي يمنحُ المقاولَ ورقةَ الضَّمانِ ليُقدِّمَها بدوره لصاحبِ المشروعِ، الَّذي يمنح المقاولَ تسبيقاتٍ على المشروعِ تصل إلى (35 %) من قيمة العقد، تُقتَطعُ بعد ذلك بنسبٍ معيَّنة من كلِّ وضعيَّةٍ تُقدَّمُ للتَّخليص، وفي الأخيرِ يتحصَّل الصُّندوقُ مقابل خدمة الضَّمانِ على عمولاتٍ وأتعابٍ بنسبةِ حواليْ (2.5 %)، أفيدونا. منْ فضْلِكم. هل هو تعاملٌ ربويٌّ أم لا؟

○○○

■ **الجواب:**

الظَّاهرُ أنَّ هذه المعاملةَ ربويَّةٌ لا يجوز التَّعاملُ بها شرعًا ما دام صندوقُ ضمانِ الصَّفقات يأخذ عوَضًا ماديًّا على كفالته للدَّيْنِ، ذلك لأنَّ المعلومَ أنَّ الكفالةَ أو الضَّمان هو عقدُ تبرُّعٍ مبناه في الشَّريعةِ على الإرفاقِ والإحسانِ، وليس هو من قبيلِ عقودِ المعاوَضاتِ، وعليه فأَخْذُ صندوقِ الضَّمانِ للنِّسبةِ المذكورةِ في السُّؤالِ كعوَضٍ عن الضَّمان يُنافي المقصدَ الشَّرعيَّ منَ الضَّمانِ، ولأنَّ صندوقَ الضَّمانِ. من جهةٍ ثانيةٍ. إذا أدَّى عن المقاولِ مبلغَ الضَّمانِ فإنَّه يعود عليه برأس المالِ المدفوع في الصَّفقة مع زيادة الفائدة، فهو أشبهُ بالقرضِ الَّذي جرَّ منفعةً للمُقْرِض، و «كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً مُشْتَرَطَةً ابْتِدَاءً فَهُوَ رِبًا».

ومنْ جهةٍ ثالثةٍ فصاحبُ المشروعِ إذا استوفى حقَّه منَ المقاولِ فبأيِّ حقٍّ يأخذ صندوقُ الضَّمانِ العوَضَ المادِّيَّ على عقدِ الإرفاقِ والإحسانِ؟

ومنْ هنا يتبيَّنُ أنَّ هذه المعاملةَ غيرُ صحيحةٍ في مقصودِها ولا في أثرِها.

والعلمُ عند اللهِ تعالى.

○○○

في شرح قاعدة: «ما حُرِّمَ سدًّا للذَّريعة أُبيح للمصلحة الرَّاجحة»

■ **السؤال:**

نودُّ توضيحًا لقاعدة: «مَا حُرِّمَ سَدًّا لِلْذَرِيعَةِ أُبِيحَ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ».

○○○

■ **الجواب:**

إنَّ المُـرادَ من قاعدة: «مَا حُـرِّمَ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ أُبِيحَ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ وَلِلْحَاجَةِ» أَنَّ مَا حُـرِّمَ تَحْرِيمَ وَسَائِلَ مُفضيَةٍ إلى مُحرَّمَاتٍ فإنَّه تُباحُ عند الحاجةِ أو المصلحة الرَّاجحة إذا كانت لا تتحقَّق إلاَّ بها، كالنَّظر إلى المرأة الأجنبية، والخلوة بها، والنَّظر إلى عورة الرَّجل والمرأة، وتحريم رِبَا الفضل وغيرها، فإنَّها مُحرَّمةٌ تحريم وسائل؛ لأنَّها تفضي إلى ما هو مُحرَّمٌ تحريمَ مَقاصد، فالخلوة بالأجنبيَّة مَنهِيٌّ عنها سَدًّا للذَّريعة المفضية إلى الزِّنا، وحُرِّم ربا الفضل في البيوع سَدًّا للذَّريعة؛ لأنَّه يُفضي إلى ربا النَّسيئة في الدُّيون، «فكُلُّ مَا أَدَّى إِلَى حَرَامٍ فَهُوَ حَرَامٌ». غيرَ أنَّه أُبيح ذلك من أجلِ الحاجة والمصلحة الرَّاجحة، كإباحة نظر الرَّجل إلى المرأة إذا أراد خِطبتها، ونظرِ الطَّبيب إلى عورة الرَّجل والمرأة إذا احتاج إلى ذلك، وتحريم الذَّهب والحرير على الرِّجال حُرِّم سدًّا لذريعة التشبُّه بالنِّساء الملعونات، وأُجيز للحاجة ونحو ذلك، ويدلُّ على هذه القاعدة سفر أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط إلى رسول الله ﷺ وهي عاتق فرارًا بدينها، وسفر عائشة رضي الله عنها مع صفوان بن المعطّل فإنَّه ﷺ لم ينه عنه، فدلَّ ذلك على جوازه للحاجة.

وعليه، فقاعدة «مَا حُرِّمَ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ أُبِيحَ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ» إنَّما يتعلَّقُ أمرها بالحاجات والمصلحة الرَّاجحة، بخلاف قاعدة ما حرِّم لذاته ومقصده، فإنَّها تتعلَّق بالضَّرورات فلا تباح إلاَّ للضَّرورة كأكل الميتة إذا خشي على نفسه الهلاك ونحو ذلك.

والعلمُ عند اللهِ تعالى.

○○○



في حكم البدل الماليّ على الفوز في المسابقات

■ **السؤال:**

تقوم بعضُ المؤسَّسات الإعلاميَّة بإجراء مسابَقات موسميَّة يحصل فيها الفائزُ على نفقة كاملة لحجٍّ أو عمرة، فما حكمُ المشارَكة فيها، مع العلم أنَّ الأسئلة المطروحة قد تكون متعلِّقةً بالأفلام أو الألعاب الرِّياضيَّة أو الموسيقى ونحوها؟

وما حكمُ حجِّ أو اعتمار الفائز في تلك المسابَقات بمثل هذه الجائزة؟

وهل ينطبق الحكمُ على جميع المسابَقات الَّتي تكون في أنواع العلوم: كالعلوم الشَّرعيَّة والعلوم الكونيَّة ونحو ذلك؟ نريد تفصيلاً جزاكم الله خيرًا.

○○○

■ **الجواب:**

ينبغي التَّفريق بين المسابَقات الدِّينية ذات الجوائز الماليَّة الَّتي يمنحها وُلاةُ الأمورِ أو جمعيَّاتٌ خيريةٌ أو بعضُ المحسنين، وبين المسابَقات الَّتي تنشرها المؤسَّساتُ الإعلاميَّة؛ فإنَّ الصُّورة الأولى للمسابَقات منتظمَةٌ وَفْقَ مقصود الشَّارع مِنْ إعداد العُدَّة الإيمانيَّة: مِنْ حفظ القرآن والسُّنَّة، وتحصيل المسائل العلميَّة الشَّرعيَّة، وهي مُلْحَقةٌ بالمسابَقات الَّتي حدَّدَها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «لا سَبَقَ إلاَّ فِي خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ»[1]، أي: ركوب الخيل والإبل والرِّماية، وكلُّ ما فيه إعدادٌ للعُدَّة المادِّيَّة مِنْ وسائل الجهاد في سبيل الله وفي تقوية شوكة المسلمين؛ فيصحُّ السَّبَقُ في هذه المسابَقات؛ إذ كلا العُدَّتين ـ الإيمانيَّة والمادِّية ـ مِنْ مطالب الشَّرع ومقاصده؛ لأنَّها وسائلُ لغايةٍ شرعيَّة، و«الوَسَائِلُ لَهَا حُكْمُ المَقَاصِدِ».

لذلك فالجوائز المُباحة الممنوحة مِنَ المتبرِّعين لمصلحة الفائزين ـ تحقيقًا لهذا المبتغى ـ يجوز الانتفاعُ بها مُطلقًا، سواءٌ في حجٍّ أو عمرةٍ أو غيرهما مِنْ غير حَرَج.

أمَّا المسابَقات الَّتي تنشرها المؤسَّساتُ الإعلاميَّة: مِنْ جرائدَ وصُحُف ومَجلاَّت ونحوها، فلا تجوز المشارَكةُ فيها؛ لأنَّها تتضمَّن المُقامَرةَ والمَيْسرَ؛ إذ المشارِكُ يدفع مالاً ولو زهيدًا لشراء الوسيلة الإعلاميَّة، في حين أنَّ المؤسَّسة الإعلاميَّة تحصل بترويج المسابَقات على زيادةِ كسبٍ وفضلِ دخلٍ متولِّد عنها.

ومِنْ جهةٍ أخرى لا يتحقَّق بها مقصودُ الشَّارع، بل بالعكس تُضادُّه، حيث تتبلور مِنْ خلالِ جريان المسابَقات آثارُ الخلاعة والعري والتبرُّج، ومظاهرُ الفتنة بالتَّرويج للأفلام، ونشر المَعازف والموسيقى، وغيرها مِنَ الأخلاق المُنافية لدِيننا الحنيف، وإنْ وُجِدَ السَّليمُ منها فمغمورٌ في وسطٍ فاسد، وكأنَّ إرادةً مفروضةً تعمل ـ بواسطة هذه الوسيلة الإعلامية ـ لتحطيم القِيَم الإسلاميَّة، واستبدالِهَا بدناءة قِيَم الحضارة الغربيَّة؛ لفصل الدِّين عن حياة المجتمع تحت تأثير العلمانيَّة الَّتي يشهدها العالَمُ الإسلاميُّ اليومَ، في غفلةٍ مِنَ المغرورين مِنْ بني جِلْدتنا.

هذا، ولَمَّا كانت «الوَسَائِلُ لَهَا حُكْمُ المَقَاصِدِ» فإنَّ الجوائز المعطاةَ بهذه الكيفيَّة لا يجوز الانتفاعُ بها للجهتين السَّابقتين؛ فمَنْ حَصَل على الجوائز بعد العلم بالمنع والكراهة فالواجبُ عليه أنْ يتخلَّص منها بإنفاق ثمنها في وجوه البرِّ؛ ذلك لأنَّ مِنْ شَرْط التَّوبة التخلُّصَ مِنَ المال الحرام، غيرَ أنَّ مَنْ حَجَّ بهذا المالِ فإنَّ حَجَّهُ صحيحٌ على أرْجَح قَوْلَي العلماء، وتسقط به الفريضةُ، ولا تُشْغَلُ به ذِمَّتُهُ، وهو آثمٌ بفعلِ الحرام؛ لانفكاك جهة الأمر عن جهة النَّهي، ولا أَجْرَ له على حَجِّه؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: 197]، ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا»[2]؛ أمَّا قبل العلم بتحريمها فلا يَلْحَقُه إثمٌ لكونه معذورًا بالجهل؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 275].

والعلمُ عند الله تعالى، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، وسَلَّم تسليمًا.

○○○

(1) أخرجه أبو داود (2574)، والتِّرمذيُّ (1700)، والنسائيُّ (3585)، وابنُ ماجه (2878)، مِنْ حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (1506).

(2) أخرجه مسلمٌ (1015) مِنْ حديث أبي هريرة رضي الله عنه

ابن الماجشون

عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة

(212 هـ)



حسن بوقليل

مرحلة الماجستير في العلوم الإسلامية

اسمه ونسبه ولقبه:

هو العلامة الفقيه، مفتي المدينة، عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون، المديني، يكنى بأبي مروان.

أصله من أصبهان، وكان مولًى لبني تَيم من قريش، وهو مدني؛ إذ استوطن المدينة[1].

و«الماجِشون» ـ بفتح الميم، وضم الجيم وكسرها ـ: لقب عمِّ والده يعقوب ـ كما سيأتي ـ، لقَّبته بذلك سَكِينة بنت الحسين ابن علي رضي الله عنهم[2].

وهي كلمة فارسيَّة معرَّبة، اختلف في معناها:

قيل: من كلمة «شوني»، بمعنى: كيف أنت؟ فإنه كان إذا التقى بالناس قال: «شوني، شوني». ذكره ابن أبي خيثمة عن الإمام أحمد، كما في «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ (412/1).

وقيل: من «ماكهون»، فعُرِّب، ومعناه: المـوَرَّد، ذكـره البخاري في «التاريخ الأوسط» (167/2) عن شيخه هارون ابن محمد.

قيل: صبغ أصفر تخالطه حمرة. نقله ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (74/ 159) عن أبي الفرج الأصبهاني.

وقيل: موضع بمدينة كَـرَّان بأصبهان[3]، يقال له: «سِكَّة الماجشون»، كما في «تاريخ أصبهان» (88/2).

□□□

ولادته ونشأته:

لا تعرف سنة ولادته رحمه الله، غير أن هناك قرائن تعين على تقديرها، فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله أنه توفي وهو ابن بضع وستين سنة، وإذا كانت سنة وفاته هي (212هـ) أو (213هـ) أو (214هـ)، فيكون مولده في النصف الأوَّل من المائة الثانية[4].

وقد نشأ رحمه الله في بيت علم وفضل؛ فـ(آل الماجشون) بيتهم من خير بيوت بالمدينة النبويَّة، ممَّا يرجِّح أنَّ عبد الملك رحمه الله اشتغل بالعلم مبكرا.

---

(1) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ (1/ 412)، و«تاريخ أصبهان» لأبي نعيم (2/ 88)، و«الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء» لابن عبد البر (ص104)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (3/ 167)، و«الديباج المذهب» لابن فرحون (2/ 6).

(2) «تاريخ دمشق» (74/ 159).

(3) انظر «معجم البلدان» للحموي (4/ 444)، وهي غير «كُرَان»، مدينة بفارس.

(4) «ترتيب المدارك» (3/ 144). انظر «فقه ابن الماجشون» لعبد اللطيف بوعبدلاوي (ص44).

○ **ومن العلماء في بيته:**

والــده: أبـو عبـد الله عبـد العزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة (164هـ)؛ العالم الفقيه، كان ثقة كثير الحديث، وصاحب فتيا، حتى إنه نودي في الحج سنة (148هـ): «لا يفتي النَّاسَ إلاَّ مالكٌ، وعبد العزيز بن الماجشون»[5].

وله رسالة في الرد على الجهمية، رواها ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (533/2) وغيره، وأوردها شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية» (ص310).

أخـوه: أبـو سلمة يوسـف بـن عبد العزيز (183هـ)؛ خرَّج له الجماعة إلاَّ أبا داود[6].

جدُّه: أبو عبد العزيز عبد الله بن أبي سلمة (106هـ)؛ كان كاتبًا لأحد ولاة عمر بن عبد العزيز على المدينة. وكان ثقةً، له أحاديث، وخرج له مسلم في «الصحيح»[7].

عم أبيه: أبو يوسف يعقوب ابن أبي سلمة (134هـ)؛ ويلقَّب بـ«الماجشون»[8].

ابن عم أبيه: أبو سلمة يوسف ابن يعقوب بن أبي سلمة (185هـ)؛ كان كثير العلم، وثقه ابن معين، وخرج له البخاري ومسلم في «الصحيح»، وكان يرخِّص في السَّماع[9].

ابن عم أبيه: أبو الأصبغ عبد العزيز ابن يعقوب بن أبي سلمة؛ أحد علماء المدينة.

وهو صدوقٌ مُقِلٌّ، وثَّقه أبو حاتم. بقي إلى حدود سنة تسعين ومائة[10].

○○○

وأوَّل منازل العلم التي قصدها وهو صغير بادية أخواله؛ حيث رحل إليهم ليتأدَّب بها[11]، وكانت عادة العرب أن يرسلوا أولادهم لذلك.

ثمَّ رحل إلى العراق، والتقى شيخه المنذرَ بن عبد الله الحزامي، فقال له: «اطلُب العِلمَ، فإنَّ معك حِذاءَك وسِقاءك»[12]، فكانت كلمة مشجِّعةً وموجِّهةً له لطلب العلم.

وقد عمي ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر عمره.

وممَّا ذكروا عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه كان مُولَعًا بسماع الغناء ارتِحالاً وغير ارتِحالٍ، قال الإمام أحمد: «قدم علينا ومعه من يغنيه»[13].

□□□

■ مكانته العلمية:

إن عوامل كثيرة أثرت في شخصية ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ كغيره ـ؛ فالإنسان ابنُ بلَدِه ويومه، غير أن بيئته العلمية من العائلة وجوار العلماء كان له الأثر البارز في حياته.

كان ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي الاعتقاد، إلا أن الإمام السَّاجي (ت: 307هـ) اتهمه في عقيدته[14]، ونقل ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه في «التهذيب» (408/6).

وتعقبه القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (21/1) فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن كان السَّاجي تعسَّف فيما نقله عن عبد الملك بن الماجشون في «علله»، فالصَّحيح عنه ضدُّ ذلك، وهو المشهور من مذهبه حسبما نبيِّنه عند ذكر كلٍّ واحدٍ منهم في موضعه».

ومما يؤيِّد سلامة عقيدته، وأنه صاحب سنَّة:

ـ أنه كانَ حريصًا على مذهب السلف الصالح، في منأى عن الرأي وأهله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ناصحًا لأحد إخوانه ـ: «إياك والكلام، فإن لآخره سُوءًا»، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (536/2)، ونقله ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (445/5).

وكتب إلى تلميذه سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيبه عن بعض شبه الجهمية، ومما قال له: «سألتني عن مسائلَ ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمَّة أنَّهم اتَّبعوا بإحسانٍ، ولم يخوضوا في شيءٍ منها»[15].

ـ أن عقيدته في القرآن تخالف قول الجهمية، وما نقل عنه أنه يقول بخلق القرآن أو ببعضه لا يصح عنه، بل كلامه صريح في الرد على من قال بخلق القرآن.

قال هارون بن موسى الفروي (ت: 252هـ)[16]: «ما سمعت الكلام في القرآن إلَّا سنة تسع ومائتين، جاء نفرٌ إلى عبد الملك بن الماجشون وكلَّموه، فأنكر ذلك

---

(5) «الطبقات الكبرى» (7/ 234)، و«تهذيب الكمال» (18/152)، و«العبر في خبر من غبر» (1/ 187).

(6) «تاريخ دمشق» (12/ 427)، و«ترتيب المدارك» (3/ 137).

(7) «الطبقات الكبرى» (5/ 346)، و«تاريخ دمشق» (33/252-254)، و«تاريخ الإسلام» (3/79).

(8) «وفيات الأعيان» (6/376)، و«التهذيب» (11/ 388).

(9) «تاريخ ابن معين» رواية الدارمي (ص226)، و«العبر» للذهبي (1/ 226).

(10) «التاريخ الكبير» (8/ 381)، و«الإرشاد» للخليلي (1/310)، و«تهذيب الكمال» (32/ 481)، و«تاريخ الإسلام» (4/ 1013).

(11) «وفيات الأعيان» (3/ 166).

(12) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1/ 368).

(13) كذا في «الانتقاء» (ص57)، أي: سفرا وحضرا، وفي «تهذيب الكمال» (18/ 360) بالجيم المعجمة.

(14) في كتابه «علل الحديث»، وهو مفقود، وفي «تاريخ بغداد» روايات عنه.

(15) «ترتيب المدارك» (3/ 141)، و«إكمال تهذيب الكمال» (8/ 327).

(16) كما في «العلو للعلي الغفار» (ص169)، وانظر «تاريخ الإسلام» (6/ 223).

عليهم، فكان في بعض ما كلَّمهم به أن قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أهذا مخلوقٌ؟! ثمَّ قال: لو أخذت بشرًا المريسي لضربتُ عنقه، لأنه كان يُكفِّر من يقول بخلق القرآن»[17].

. أنَّه من جلة تلامذة مالك، وأبوه مفتي المدينة في زمانه، فكيف له أن يخالفهم؟!

ولذا عدَّه اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح الاعتقاد» (35/1) من أئمَّة السنة في عهد التابعين.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ . بعد دفاعه عن ابن الماجشون . (141/1): «ذكرنا هذا كلَّه وجلَبناه من كتب الأئمة الثقات ردًّا وإبطالًا لما حكاه الساجي في «علله» من خلاف هذا مما لم يصحَّ عنه، ولم يعرف منه، ممَّا كان الأولى به تركه».

وأما ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حيث علم الحديث؛ فإنَّ له مشاركةً يسيرة فيه.

قال ابن سعد في «طبقاته» (506/5): «له فقه ورواية».

وقد روى له: النسائي في «الكبرى» (6261)، وابن ماجه (105)، (905).

ولكن النقَّاد من أهل الحديث اختلفوا في مكانته الحديثية:

قال أبو عبَيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: كان عَبد الملِك الماجشون لا يعقل الحديث[18]، علَّق عليه الذهبي[19] بقوله: «يعني: لم يكن من فرسانه، وإلاَّ فهو ثقة في نفسه».

ولعلَّه لهذا ذكره ابن حبان في «الثقات» (389/8)، وأورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (358/5) وسكت عنه.

وما أجمل ما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» (4223): «الفقيه مفتي أهل المدينة، صدوق، له أغلاط في الحديث».

وليس سبب زهد أهل الحديث في رواية ابن الماجشون لأجل ترخيصه في السماع كما ظنَّه بعضهم[20]، «فقد سبقه إليه إبراهيم بن سعد . المجمع على توثيقه .، وإنَّما زهدوا في عبد الملك لمنكراته في روايته، ولاتِّهامه برأي جهم»[21]، وتقدَّم الكلام عن هذه التهمة، وتبرئته منها.

وكان ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصيحًا، حسنَ البيان، ولا غروَ، فقد تأدب بالبادية، وأخذ مبادئ العربية هناك، تلك البيئة الخالية من العجمة، فكان فصيحا مفوَّهًا، وكان إذا التقى مع الشَّافعي، لا يدري النَّاس ما قالا، من الفَصاحة والبيان، غير أنه من الشافعي بمنزلة الفطيم من الكبير[22].

كل هذه الخصال والميزات التي اتسمت بها شخصية عبد الملك ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعلته يعتلي درجات العلماء الفقهاء، وشهد له بذلك العام والخاص.

فكانت له رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكانة عند شيخه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث شاركه في مناظرة أبي يوسف عند الرشيد بإذن منه[23].

وكان من خيرة أصحاب مالك المدنيين، ولم يكن مع هذا مقلِّدًا له، قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإحكام» (143/6): «وأما أفاضل أصحاب أبي حنيفة ومالك فما قلدوهما فإن خلاف ابن وهب وأشهب وابن الماجشون والمغيرة وابن أبي حازم لمالك أشهر من أن يتكلف إيراده».

وثم تقلَّد ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ منصب الفتيا كأبيه الإمام عبد العزيز.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الانتقاء» (ص57): «فهو فقيه ابن فقيه»، وقد كان سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعظِّمه، ويراسله يستفتيه، وكذلك أصبغ بن الفرج[24].

(17) «شرح أصول الاعتقاد» (2/ 357)، و«بيان تلبيس الجهمية» (7/ 563).
(18) «تهذيب الكمال» (18/ 360).
(19) «السير» للذهبي (10/ 360).
(20) كالقاضي عياض في «ترتيب المدارك» (3/ 144).
(21) من كلام الشيخ المعلمي في «التنكيل» (1/ 410).
(22) «مناقب الشافعي» للبيهقي (1/ 207) و(2/ 344)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (53/ 362).
(23) انظر القصة في «ترتيب المدارك» (2/ 113.119).
(24) «ترتيب المدارك» (4/ 19).



وقد نقل شيئًا من فتاوى ابن الماجشون وأجوبته الفقهية ابن حبيب في «الواضحة»[25].

وكان لفتاويه وأجوبته قيمة علمية بين أهل العلم وطلابه، بل حتى الحاكم والقضاة؛ وممن كان يعتمدها: محمد ابن خالد بن وهب، الشهير بابن الصُّغَيِّر (توفي بعد: 330هـ)[26]، وعبد الله بن محمد المغربي الغَيمي[27] (ت: 308هـ)[28].

ثم إنه لا تخلو كتب المالكية من ذكر لفتاوى ابن الماجشون.

□□□

■ ثناء العلماء عليه:

قد أثنى على الإمام عبد الملك ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ جماعة من العلماء، لما له من منزلة بين أهل العلم عمومًا، وبين علماء المذهب خصوصًا.

قال ابن سعد في «طبقاته» (506/5): «كان له فقه ورواية».

وقال الشيرازي في «طبقاته» (ص148): «كان فصيحًا»، ونقل عن ابن أكثم قوله: «عبد الملك بحر لا تكدره الدِّلاء»، وعن ابن المعذَّل قوله: «كان لسان عبد الملك إذا تعايَى أحيا من لساني إذا تحايَى».

قال النسائي: «فقيه الأمصار من أصحاب مالك من أهل المدينة».

قال ابن عبد البر: «كان فقيهًا فصيحًا، دارَت عليه الفتيا في زمانه إلى موته، وعلى أبيه عبد العزيز قبله؛ فهو فقيهٌ ابنُ فقيهٍ»[29].

□□□

■ شيوخه:

اهتم ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ بالعلم وتحصيله منذ صغره، حتى أدرك شيوخًا كبارًا، وكثر من أخذ عنهم، وممَّن أذكرهم هنا:

يعقوب بن حميد، يعرف بابن القسام (141هـ)، وأبوه عبد العزيز بن أبي سلمة (164هـ)، وعبد الرحمن ابن أبي الزِّناد (174هـ)، والإمام مالك (179هـ)، وإبراهيم بن سعد (183هـ)، وابن أبي حازم (184هـ)، وابن كنانة (186هـ)، والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي (186هـ).

وآخرون ذكرهم من ترجم لابن الماجشون، مما يؤكد اعتناءه رَحِمَهُ اللَّهُ بالعلم، وأخذه عن أهله، فلا غرو إذًا أن يكون ابن الماجشون من رموز المذهب المالكي.

■ تلاميذه:

ولما كان ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ من أهل العلم في زمانه، فقد كان له رَحِمَهُ اللَّهُ تلاميذ كثر، أخذوا عنه العلم، ونشروه في الآفاق، ومن أولئك:

يعقوب بن سفيان الفَسَوي (219هـ)، صاحب كتاب «المعرفة والتاريخ»، وعبد الملك بن حبيب الأندلسي (238هـ)، صاحب كتاب «الواضحة»، وسحنون ابن سعيد التَّنوخي (240هـ)، صاحب «المدونة»، وهارون ابن أبي علقمة الفروي (252هـ)، والزبير بن بكار (256هـ)، وأبو زيد القاضي (258هـ)، صاحب كتاب «الثمانية»[30]، ومحمَّد بن يحيى الذُّهلي (258هـ)، شيخ البخاري، وابن المواز الإسكندراني (269هـ)، وحماد بن يحيى السِّجلماسي.

وآخرون ممن أخذ منه العلم، ونشره بين الناس في الآفاق.

□□□

■ تركته العلمية:

كان للإمام عبد الملك بن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ كلامٌ في الاعتقاد والفقه وأصوله وغيره من العلوم، فهو مشارك في فنون شتى، وقد حفظ الله - عز وجل - لنا كثيرا من أقواله واختياراته الفقهية والأصولية؛ إذ نشرها تلاميذه، ونجدها في دواوين الفقه.

⌑ ومما نقل عنه في الاعتقاد:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياك والكلام، فإن لآخره سُوءًا». - وقد سبق -، وعدَّه ابنُ تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (563/7) ممن كفَّر المِريسي.

⌑ ومما نقل عنه في أصول الفقه:

«أقل الجمع اثنان»، «المستثنى أكثر من المستثنى منه»[31]، وغيرها من المسائل الأصولية، وقد جمع بعضها الدكتور عبد اللطيف بوعبدلاوي في «فقه ابن الماجشون» (ص109) وما بعدها.

⌑ وقد ترك ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ كتبًا، لكنَّها في عداد المفقود، ولم ينجُ منها إلا

(25) وقد طبع جزء منه بتحقيق الألماني مكلوش موراني، وفي الجامع الأعظم بمكناس جزء منها لم يطبع.

(26) «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي (2/ 51)، «ترتيب المدارك» (6/ 85).

(27) بفتح الغين، وميم مكسورة، ووقع في «ترتيب المدارك» (279/5): «العتمي»، وهو تصحيف.

(28) «تاريخ الإسلام» (7/ 135)، «الوافي بالوفيات» (17/ 290). وقد قتلته الدولة العبيدية لذمُّه التشيُّع.

(29) «الانتقاء» (ص57).

(30) «ترتيب المدارك» (4/ 257)، و«السير» (12/ 336).

(31) «شرح تنقيح الفصول» للقرافي (ص233)، و«المسودة في أصول الفقه» لآل تيمية (ص150 و155).

شَتات، هو جوابات ونقولات بُثَّت في بطون الكتب القديمة.

ومما يذكر له من تواليف[32]:

- كتابٌ في الفقه كبير، يرويه عنه تلميذه السِّجلماسي.
- رسالة في الإيمان والقدر، والرد على من قال بخلق القرآن والاستطاعة.
- رحلة.
- «سماعات» وهي معروفة مشهورة.

وقد روى هذه «السماعات» تلاميذه، ومنهم:

- تلميذه أبو زيد القرطبي رحمه الله (ت: 258هـ): فجعلها في كتابه «الثمانية»، وهو كتاب جمع فيه سماعاته من أهل المدينة؛ كابن الماجشون، ومطرف، وأصبغ، كما في «ترتيب المدارك» (258/4)، وذكر القاضي رحمه الله في (15/8) أنَّ سليمان ابن بيطر الكلبي (ت: 404هـ) اختصرها اختصارًا حسنًا.
- تلميذه ابن الموَّاز رحمه الله (ت: 281هـ)؛ فقد نص القاضي في «ترتيب المدارك» (52/6) في ترجمة ابن الحُقنة على سماع ابن المواز من ابن الماجشون.

ثمَّ سمعها من ابن الموَّاز تلميذُه عيسى ابن مسكين رحمه الله (295هـ)، ثمَّ سمعها من عيسى تلميذُه عبد الله بن حمود، المعروف بابن الحُقنة رحمه الله (357هـ).

- تلميذه ابن وثاب المدني، فقد نقل القاضي في ترجمته (3/4) عن ابن عتاب أنه روى هذه السماعات عن المدنيين أيضًا.
- تلميذه حماد بن يحيى السِّجلماسي؛ وهو أوَّل من قدم بفقه ابن الماجشون إلى القيروان[33].

(32) انظر «ترتيب المدارك» (3/ 140)، و«هدية العارفين» لإسماعيل باشا (1/ 623).

(33) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (4/ 97).

وسماعات ابن الماجشون رحمه الله كان لها اهتمام كبير من الفقهاء، نقل منها كثير من العلماء، ومنهم:

- الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي رحمه الله (520هـ) في كتابه «البيان والتحصيل» في مواضع كثيرة[34]، وفي كتابه «المقدمات الممهدات» (337/1).
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله (544هـ) في «ترتيب المدارك» (174/1).

□□□

■ وفاته:

اختلف أهل التراجم في سنة وفاته رحمه الله على ثلاثة أقوال:

الأوَّل: أنه توفي سنة (212هـ)، وبه قال: البخاري في «التاريخ الأوسط» (300/2)، وابن عبد البر في «الانتقاء» (ص58)، والقاضي عياض في «ترتيب المدارك» (144/3)، وابن فرحون في «الديباج المذهب» (7/2)، والذهبي في «ديوان الإسلام» (245/4).

ومال إلى هذا القول: الصفدي في «الوافي بالوفيات» (120/19).

الثاني: أنَّه توفي سنة (213هـ)، وبه قال: الشيرازي في «الطبقات» (ص148)، وابن خلكان في «الوفيات» (166/3)، ومغلطاي في «إكمال التهذيب» (326/8).

وقال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (408/6): «قيل مات سنة (212)، وقيل سنة (214). قلت: وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقاته»: مات سنة ثلاث عشرة».

(34) انظر مثلا: (4/ 93)، (6/ 31)، (8/ 50، 297)، (9/ 174، 222).

فكأنَّه يميل إليه، والله أعلم.

الثَّالث: أنَّه توفي سنة (214هـ)، وبه قال: الذهبي في «الكاشف» (667/1).

قال القاضي عياض رحمه الله في «ترتيب المدارك» (144/3): «وهو ابن بضع وستين سنة».

فرحم الله الإمام عبد الملك ابن الماجشون، وأسكنه جنته. آمين.

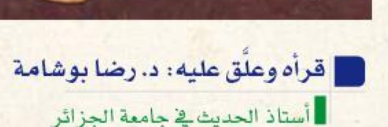
○○○





قصيدةٌ
في الرَّدِّ على أصحابِ السَّماع المُبتَدَع

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ



قرأه وعلَّق عليه: د. رضا بوشامة
أستاذ الحديث في جامعة الجزائر

فهذه قصيدة من قصائد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، أصلها سؤال ورده ضمن أبيات شعرية فيمن يتقرب إلى الله بالسماع والرقص، فكان ردُّه نظمًا، فهو كما قال الصفدي وغيره: «له أجوبة سؤالات كان يُسألها نظمًا فيجيب عنها نظمًا»[1].

وبيَّن في جوابه هذا أنَّ التقرُّب إلى الله يكون بتلاوة كلامه وسماعه، وهو ما يزيد العبد المؤمن طاعة لله ومحبة فيما عنده، إذ هو طريق الرسول ﷺ وصحابته والتابعين لهم، وأمَّا ما ابتدعه غيرُهم من السماع البدعي والرقص والضرب بالكفِّ والطبل وغير ذلك، فهو من المنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهي من سماع حزب الشيطان الَّتي تورد صاحبها المهالك وتستوجب النيران.

وهذه القصيدة لم تُنشر قبل ـ فيما أعلم ـ وهي ضمن مجموع فيه مسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، من محفوظات مكتبة أيا صوفيا بتركيا (1596)، (69أ ـ 70أ) وتقدَّم وصفُ هذا المجموع في العدد (31) من هذه المجلَّة.

⌑ ⌑ ⌑

(1) «الوافي بالوفيات» (7/ 19).

صورة المخطوط

النص المحقق

الحمد لله ربِّ العالمين.
سأل بعضُ النَّاس شيخ الإسلام ابن تيمية:

يا معشرَ الفقهاء والسادات — رُفعت لكم في الجنَّة الدرجات
ماذا تقولوا في أُناس يَرقصوا — وهم رجالٌ خَيِّرون ثقات
فأنا أخبركم على ما يرقصوا — بالدُّفِّ ثم الكفِّ معْ أصوات
يستفتحون سماعَهم بقراءة — بالذِّكر والتَّسبيح والزَّفرات
وإذا انتهوا في وَجْدِهم وسماعِهم — خَتموا السماعَ بفاضل الدَّعوات
يتجنَّبون المُحدَثات بأسرِها — ما فيه من حَدَث[1] ولا قَينَات
أيَضرُّهم هذاك عند إلههم — أم يُوجبُ النِّيرانَ واللَّفحَاتِ
أم يُنسبوا للكفرِ من بين الملا — أم دينُهم باقٍ لهم بثَبات
أم ذلك الوَجْدُ المعيَّن بدعةٌ — وردت في الأخبارِ والآيات
في أيِّ آيات الكتابِ سمعتمُ — أنَّ التَّواجد يُذهب الحسَنات
أيُّما أَجَلُّ: الوَجْد في مذهبكم — أم أكل لحم النَّاس بالغيبات؟
بالله أفتونا بما أدليتُم — عِلما وبَرهنةً عن الشُّبهات

* أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

يا سائلينَ عن الطريق المرتضَى — السَّالكين طرائق الخيرات
القاصدين رِضَى الإله ودينَه — العابدين لمُنزِل الآيات
التَّابعين المصطفى خيرَ الورى — والمقتَفِين مسالكَ السَّادات
الطالبين سَبيلَ أرباب الصَّفا — أهلِ الهدى والصِّدق والإخبات
وذوي المحبَّة للإله مليكنا[2] — أهلِ الإرادة في سبيل نجاة
قد قال خالقُنا كلامًا بيِّنًا — بَانَ الطَّريقُ به من الشُّبهات
إن كنتَ يا عبدي مُحبًّا مخلصًا — فرَسولي الهادي إلى مرضاتي
فأنا المحبُّ لمن يُتابع أحمدًا — لستُ المحبَّ طرائقَ البِدْعات[3]
وسماعُه وسماعُ أتباعٍ له — هو سمعُ قولي مُحكم الآيات
وهو السَّماع لكلِّ عبدٍ صالح — وبه تُنال جميعُ محبوباتي
وهو الَّذي كان النبيُّ وصحبُه — والتَّابعون لهم على الخيرات
يَجدون فيه مَواجد الحبِّ الَّذي — يعلو عُلوًّا عالي الدَّرجات

فسماعُ قول الله من[4] تنزيله ... بابُ الهدى ومقدَّمُ الطَّاعات

وهو السَّماع سماعُ أرباب التُّقى ... وسماعُ أهلِ الدِّين والقُرُبات[5]

وهو الذي مَن فاتَه حُرم الهُدى ... وغدا عونًا تابعًا لغُوَات

مستوجبًا لعذاب نار جهنَّم ... مَعْ حزب شيطانٍ وجمع طُغات

هذا السَّماع يُنيلُ صاحبه الرَّدى[6] ... يَبغِي الوصولَ لأكبر الحالات

ممَّا أنال الرَّبُّ أهلَ وَلائه ... الواجدين مَواجد السَّادات

أهلَ المحبة للإله ودينه ... ورسوله المبعوث بالآيات

أهلَ الصَّفاء المصطفين مِن الورى ... القائمين بواجب الطَّاعات

أمَّا سَماعُ العازفات فكلُّها ... والنفخُ في المزمار والقَصبات

والضَّربُ بالكفِّ المصَفِّق والغِنَا ... والرَّقصُ عند مَناكر الأصوات

فمِن الأمور المبتَدعات بلا هُدى ... قد جاء في هذا مِن الآيات

لم يأمر الرَّبُّ الكريم بذاكمُ ... كلَّا! ولا قد جاء في الطَّاعات

لا أَمرُ فرضٍ لا، ولا فضلٌ ولاَ ... شَرعُ النبيِّ لهذه الفعلات

والقربُ مِن ربِّ السموات العُلى ... لا ينبغي إلا بذِي الطاعات

إمَّا بفرضٍ واجبٍ يؤتى به ... أو مستَحَبٌّ يرفع الدرجات

فمتَى يكن هذا السماعُ المبتغي ... مِن غير[7] دين جامع القرباتِ

كان السلوكُ به ضلالاً بيِّنَا ... عن طرْق أهل الدِّين والخيراتِ

وسلوك صاحبه به نحو العُلَى ... يَهوي به في ظلمة الدَّركات

مثل التقرُّب بالصلاة لمشرِق ... وبغيرها من سائر البِدعات

فالربُّ جلَّ جلاله لا يُبتغى ... رضوانُه إلا بسُبُل نجاة

لا يُبتغى رضوانُه بعبادة ... لسواه كالآتي بقصد اللَّات

وكذاك لا إلا بطاعة رُسْله ... للمبتغي للفضل والمرضات

فالله يهدينا جميعا للَّذي ... يختاره في سائر الحالات

والحمد لله الكريم الهادي ذي ... الفضل والإحسان والبركات

تمَّت، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

(1) في الأصل: (ما فيهم حدث)، وكتب فوقها: «ح» ومن تحتها: «فيه من حدث»، ولعله الأصوب.

(2) في الأصل: (إلهنا)، وكتب فوقها: «خ مليكنا».

(3) يشير إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران].

(4) في الأصل (في)، وكتب فوقها: «من».

(5) كتب فوقها: «البركات».

(6) في الأصل: (الذي)، وكتب فوقها: «الرَّدى»، وهو الصواب.

(7) في الأصل: (عند)، وكتب فوقها: «غير»، وهو الصواب.



مسلك الكفاف في رفع ما بالنحو من اليُبس والجفاف

عيسى عزوق
مرحلة الدكتوراه. جامعة الجزائر

لا يبعد عن كلِّ دارسٍ للنَّحو ما يُعانيه المشتغلون به من الجفاف واليُبس والإقفار والجدب الدَّاعي إلى نُفرة البادئ فيه من المواصلة والجدِّ في طلبه وتحصيله، فكان لزامًا إيجاد السَّبيل إلى رفع بعض ذلك اليبس والجدب، بمستملحات من اللَّطائف والأدب، تسوق العارف بها إلى استظراف فنِّ النَّحو وطرد السَّآمة عنه والاستثقال، بطرح بعض المسالك الموصلة إلى رفع الإصر عنه والأثقال، وفي هذا يقول صلاح الدِّين الزَّعبلاوي: «ولا مَعدل عن أن ننأى بالنَّحو أن يكون علمًا يعرف به أحوال الكلم إعرابًا وبناءً فيقتصر البحث فيه على أواخر الكلمات ويشوبه من جفاف القواعد ما لا يترقرق فيه ماء بيان أو تشرق به ديباجة كلام. فالقريب المختار أن يكون علم النَّحو قسيم علم المعاني فيغدو كل تتمَّة الآخر»(1).

وهذا مُقترح لبعض المسالك في هذا الباب والله المعين.

(1) «دراسات في النَّحو» (ص45).

■ المسلك الأوَّل:

لـمَّا كانت النُّفوس مجبولة على الاسترواح إلى مِراح اللَّطائف، كان هذا الباب مَولجًا إلى المقصود في فنِّ النَّحو، وذلك بالتماس المعاني الخفيَّةِ المكنونةِ الكامنةِ وراء أُكُم الألفاظ، يحصل الانتباه إليها بتجريد عبارات النُّحاة عن الاصطلاح والوضع، والمصيرِ إلى المعنى اللُّغوي المحض فحينذاك تبدو تلك المعاني الشَّوارد ظاهرة بادية الموارد، وفي هذا يقول العلاَّمة محمَّد البشير الإبراهيمي موضِّحًا طريقة الإمام عبد الحميد ابن باديس في «إقراء النَّحو وعلوم الآلة» فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان من طريقته في التَّربية أن يرمي إلى تصحيح الفكر، وصقل العقل، وترقية الرُّوح، وتقوية الخلق، وتسديد الاتِّجاه في الحياة، وأنَّه يستخرج من قواعد العلوم التَّعليميَّة قواعد للاجتماع، وينتزع منها دروسًا في التَّربية والأخلاق، فمن القواعد الاصطلاحيَّة المعروفة قولهم - مثلاً - الفاعل مرفوع، والعامل يتقدَّم، فمن أمثال هذه الجمل المبتذلة الدَّائرة على الألسن في دراسة العلوم كان يستخرج من معانيها اللُّغويَّة نظرات اجتماعيَّة طبيعيَّة ككون الفاعل العامل مرفوع القدر عند النَّاس، وككون العامل يجب تقديمه على الكسلان العاطل في جميع المقامات، وقد ذكر لي بعض من حضر درسه في قول صاحب الألفيَّة «كلامنا لفظٌ مفيد كاستقم»، قال: سمعته يقرِّر القاعدة النَّحوية الَّتي أرادها ابن مالك فسمعت ما أدهشني من التَّحقيق الَّذي لم يعهد من علماء عصرنا، بالأسلوب الَّذي لم يعهد من شرَّاح الألفية سابقهم ولاحقهم ما عدا أبا إسحاق الشَّاطبي، ثمَّ انتقل إلى شيءٍ آخر نقلني إلى شيء آخر وسَمَا بي من الدَّهشة الَّتي ما فوقها ممَّا لا أجد له اسمًا، فكان درسًا اجتماعيًّا أخلاقيًّا، على ما يجب أن يكون عليه الحديث الدَّائر بين النَّاس، وأنَّه إذا لم يكن مفيدًا في المعاش والمعاد كان

لغوًا وثرثرة وتخليط مجانين، وإن سمَّته القواعد كلامًا، ثمَّ أفاض في الاستقامة الدينيَّة والدُّنيوية وأثرها في المجتمع، فعلمت أنَّ الرجل يعمل على أن يخرج من تلامذته رجالاً، وأنَّه يجري بهم على هذه الطَّرائق ليجمع لهم بين التَّربية والتَّعليم، وكأنَّه يتعجَّل لهم الفوائد، ويسابق بهم الزَّمن، ما دامت الأمم قد سبقتنا بالزَّمن»[2].

وإنَّما يحصل هذا من التَّدبُّر والتَّفكر والتأمُّل والتماس المعاني المتوارية خلف الأوضاع والاصطلاحات، فالشَّأن في هذا كما قال السُّيوطي عن أسرار ترتيب القرآن: «أكثره من نتاج فكري، وولاد نظري؛ لقلَّة من تكلَّم في ذلك، أو خاض في هذه المسالك»[3].

ويحصل هذا أيضًا بجمع بعض شتات ما تفرَّق من هذه المستملحات في بطون كتب الأدب وتوظيف معانيها في الدَّلالة على قواعد النَّحو، ومن أحسن من جمع في ذلك فأوعى جار الله الزَّمخشري حيث يقول: «يا أبا القاسم أَعَجَزْتَ أن تكُونَ مثلَ هَمزَةِ الاستفهامْ. إذْ أَخَذَتْ على ضَعفهَا صَدرَ الكلامِ. لَيْتَكَ أشبهتَها مُتقدِّمًا في الخيرِ معَ المُتقدِّمينْ. ولم تُشبهْ في تأخُّرِكَ حَرْفَ التَّأنيث والتَّنوينْ. المُتقدِّمُ في الخير خَطَرُه أتَمّ. ودَيْدَنُ العَرَبِ تَقدِمَةُ ما هو أهَمّ. ضَارِع الأبرارَ بعَمَلِ التَّوَّابِ الأَوَّابْ. فالفعلُ لمُضَارَعَته الاسمَ فازَ بالإعرابْ. ومادَّةُ الخَيرِ أن تُؤْثِرَ العُزلَةَ ولا تَبْرُزَ عن الكِنّ، وتُخْفي شَخْصَكَ إخفاءَ الضَّميرِ المُستَكِنّ. فإنَّ الخَفَاءَ يَجْمَعُ يدَيْكَ على النَّجاةِ والاستعصام، كما اسْتَعْصَمَت الواوُ من القَلبِ بالإدغامْ، ولا يَكُونَنَّ ضَميرُكَ عن الهمِّ الدِّينيِّ ساليًا. كما لا يكون أَفْعَلُ من الضَّمير خاليًا. وعوِّضْهُ منْ تلكَ السلوَةِ ذلك الهَمّ. كما عُوِّضَت الميمْ من حَرفِ النِّداءِ في اللَّهُمّ. وقِفْ لرَبِّكَ على العَمَلِ الصَّعبِ الشَّديدْ. كما تَقِفُ بنو تَميم على التَّشديدْ. واثبُتْ على دينِ الحقِّ الَّذي لا يتبدَّلُ ولا يَحُولْ. ثَباتَ الحركة البِنَائيَّة الَّتي لا تزولْ. ولا تَكُنْ في التَّرجيح بيْنَ مذهَبَيْنْ. كالهمزة الواقعة بينَ بَينْ. فانظُرْ إلى السُّود والبيض، كيف تعتقبُ على ما تحت السَّماءْ. اعتقابَ العوامل المختلفة على الأسماءْ. فإنَّك لا ترى شيئًا إلاَّ مُستَهدفًا للحوادث والنَّوائبْ. كما ترى الاسمَ عُرضَةً للخوافض والرَّوافع والنَّواصبْ. وتجلَّد في المضيِّ في عَزمكَ وتصميمهْ. ولا تقصُرْ عمَّا في الفَم من جلادَةِ ميمهْ. وليحجُبْكَ هَمُّكَ عنَ الرُّكون إلى هؤلاء المُستَوْلية كما تحجب عن الإمالة الحروفُ المستعليةْ. واحذر أن يعرفَكَ الدِّيوانُ وعطاؤهْ. مادامت مُبدلةً من واوه ياؤهْ»[4].

وأمثلة هذا كثيرة في أشعار المحدَّثين، فمن ذلك قول أبي الفتح البستي[5]:

عزلت ولم أذنب ولم أك جانيًا
وهذا لإنصاف الوزير خلاف
حذفت وغيري مثبتٌ في مكانه
كأنِّي نون الجمع حين يضاف

وقال صفي الدِّين الحلي:

فلئنْ خفَضتُ لهم جَناحَ تَحَمّلي
فالقَلبُ مَنصوبٌ على الإغراءِ[6]

وقال ابن نباتة:

رأى الفكر إعراب الثَّنا فيه كلَّما
بناه إلى أن صار في معرب يبنى

وأقسم أن لا شيء كالغيث في النَّدى
فلمَّا رأى جدوى أنامله استثنى[7]

وقال عبد الجبَّار بن حمديس الشَّاعر:

كأنَّ حروف اللِّين كانت رؤوسهم
فلاقين حذفًا من وقوع الجوازم[8]

ويقول عبد الغفَّار الأخرس:

وفَلَّ قضاء الله شفرة صارم
أقارع أعدائي به وأصارم
وسكن فعلاً ماضيًا من غراره
وما دخلت يومًا عليه الجوازم[9]

وقال أبو الطيِّب المتنبِّي:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعًا
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم[10]

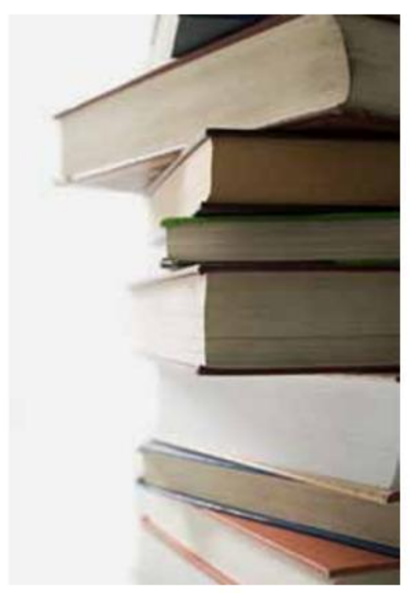
ويقول بهاء الدِّين زهير بن محمَّد ابن علي بن يحي:

يا صارفِ القَلبِ إلاَّ عن مَحَبَّتِهِمْ
وسالبي الطَّرف إلاَّ عنهمُ نظرهْ
جعلتُكم خبري في الحُبِّ مُبتَدئًا
وكلُّ معرفة لي في الهوى نكرهْ[11]

ونحو هذه الشَّواهد كثير للمتتبِّع، فإنَّ المقصد من هذا يُدرك بالتتبُّع والنَّظر والتأمُّل في المقصود ممَّا وراء مجرَّد القواعد والأوضاع، ولا يقولنَّ القائل إنَّ في هذا تطويلاً للطَّريق وزيادة عناء، فإنَّه غير مقصود لذاته، وغير مراد لكلِّ أحد، وإنَّما يراد لمن يعتريه المَلَلُ والسآمة في الدَّرس، فيستظرف بمثله خروجًا من العُقَد إلى بعض المُلَح الجامعة بين النَّحو والمعاني.



(2) «الآثار» (5/ 139).
(3) «أسرار ترتيب القرآن» (ص39).
(4) «مقامات الزَّمخشري» (ص195).
(5) «التَّمثيل والمحاضرة» للثَّعالبي (ص161).
(6) «ديوانه» (ص584).
(7) «ديوانه» (ص2004).
(8) «ديوانه» (ص611).
(9) «ديوانه» (ص614).
(10) «الوساطة بين المتنبِّي وخصومه» لأبي الحسن الجرجاني (ص50).
(11) «ديوانه» (ص151).



■ **المسلك الثَّاني:**

إذا كانت الغاية من النَّحو فهم مراد الله ورسوله ﷺ، فإنَّ ممَّا يُعين على إدراك هذا المقصد دون سآمة ولا جفاف، مُعاناة ما رقَمه بعض العلماء في هذا المقصد من تخريج مسائل الفقه على مقتضى القواعد النَّحويَّة، فإنَّه ممَّا يزيد العزم ويذكِّي العقل ويطرد الملل والجَدْب عن مَوات أرض النَّحو.

ومن الأمثلة الَّتي توضِّح هذا «قاعدة: الكلمة لا تطلق على الكلام، على الصَّحيح عند النَّحويين وقال بعضهم: يقصد بها الكلام العام، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: 100]، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «أفضل كلمة قالها الشَّاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطل»، وغير ذلك.

قال ابن عبد الهادي: «إذا تقرَّر هذا، فمن فروع القاعدة: إذا حلف لا يكلِّمه فوق كلمة، حنث بالكلمة الَّتي هي واحدة الكلام، مع أنِّي لم أجد في هذه المسألة نقلاً، والَّذي ينبغي أن يقال إن كان مراده بالكلمة واحدة الكلام حنث بما زاد عليها، وإن كانت نيَّته غير ذلك رجع إلى نيَّته، والله أعلم.

ومنها: إذا قال: إنْ كلَّمت زيدًا فوق كلمة فإنَّكِ طالق، فكلَّمَتْه فوقَ الكلمة الَّتي هي واحدة الكلام طُلِّقَتْ.

ومنها ـ ما قالوا في الجنائز: إنَّه إذا تكلَّم أعاد تلقينه، فإن كان مرادهم الكلام، فتكلَّم كلمة لم يُعِد تلقينَه، وإن كان مرادهم: الكلمة أعيد، ومرادهم ـ والله أعلم ـ، أنَّه إذا تكلَّم ولو كلمة أعيد، والله أعلم.

ومنها: ما قالوا في الخطبة في الجمعة: إنَّه يحرم الكلام، فإن أريد به: الكلام الَّذي واحده الكلمة لم تحرم الكلمة، لأنَّ الكلمة تطلق ويراد بها الكلام، مرادهم ـ والله أعلم ـ أنَّه يحرم الكلام والكلمة وهذه المسألة فيها ثلاث روايات: يحرم، لا يحرم، يحرم لغير الإمام ومن يكلمه، والله أعلم.

ومنها: إذا سلَّم قبل إتمام الصَّلاة، ثمَّ تكلَّم لغير مصلحتها بطلت فمرادهم هنا، ولو الكلمة الَّتي هي واحدة الكلام، والله أعلم.

وكذا في جميع ما ذكروا في الفقه من تحريم الكلام، فالمراد به ـ والله أعلم ـ الكلمة الَّتي هي واحدة الكلم»[12].

ومن مظانِّ معرفة مثل هذا كتابُ «الكوكب الدُّرِّي فيما يتخرَّجُ على الأصول النَّحويَّة من الفروع الفقهيَّة» للعلاَّمة الإسنوي رَحِمَهُ اللهُ وكذلك تخريج الفروع على الأصول له، و«زينة العرائس من الطُّرف والنَّفائس في تخريج الفروع الفقهيَّة على القواعد النَّحوية»، ليوسف بن عبد الهادي، و«الصَّعقة الغضبيَّة على منكري العربيَّة» للطُّوفي وسائر ما في تخريج الفروع على الأصول.

ومن لطائف ما يذكر في هذا ما ذكرَه ابنُ هشام أنَّ الرَّشيدَ كتب ليلةً إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قوله:

فَإِنْ تَرْفُقِي يَا هِنْدُ فَالرِّفقُ أيمنُ
وَإِنْ تَخْرقِي يَا هِنْدُ فَالخَرقُ أَشْأَمُ
فَأَنْتِ طَـلَاقٌ والطَّلَاقُ عَـزِيمَـةٌ
ثَـلاثٌ، وَمَنْ يَخْرَقْ أَعَقُّ وأَظْلَمُ

فقال: ما يلزمه إذا رفع الثَّلاثَ ونَصَبَها؟! قال أبو يوسف: فقلتُ: هذه مسألة نحويَّةٌ فقهيَّةٌ، ولا آمَنُ الخطأ إن قلت فيها برأيي، فأتيتُ الكسائي وهو في فراشه، فقال: إن رفَعَ ثلاثًا طلِّقتْ واحدة؛ لأنَّه قال: «أنت طَلاَقٌ»، ثمَّ أخبر أنَّ الطَّلاق التَّام ثلاث، وإن نصبها طلِّقتْ ثلاثًا؛ لأنَّ معناها: أنت طالق ثلاثًا، وما بينهما جملة معترضة، فكتبتُ بذلك إلى الرَّشيد، فأرسَلَ إليَّ بجوائز، فوجَّهتُ بها إلى الكسائي[13].



■ **المسلك الثَّالث:**

إمعان النَّظر في القواعد النَّحويَّة على طريقة القواعد الفقهيَّة، بإيرادها في ألفاظ وجيزة خفيفة المَحمل على الألسنة، تظهر فيها طريقة الفقهاء في تقعيدهم ممَّا يسهِّل على المتعلِّم استيعابها دون ملل ولا سآمة، وفي ذلك يقول عبد العزيز الحربي: «لا أعرف كتابًا عُني بذكر القواعد النَّحويَّة وتدوينها على طريقة القواعد الفقهيَّة أو قريب منها.. وفي جمع القواعد الصَّحيحة بجمل مختصرة فائدة عظيمة يضبط بها المتعلِّم فروع المسائل ونظائرها وحكمها وتيسُّر له

(12) «زينة العرائس من الطُّرف والنَّفائس في تخريج الفروع الفقهيَّة على القواعد النَّحوية» (ص2).

(13) «مغني اللَّبيب» (1/ 76).

المعرفة على طريقة أثبت ومنهج أقوم.. ومن ثمَّ فقد بدا لي أن أذكر بين يدي الشَّرح الميسَّر عددًا من القواعد والجمل المختصرة الَّتي تعينه إذا ذكر وتذكُّره إذا نسي وتثبت فؤاده حين التردُّد.. وكل من القواعد والشَّرح إنَّما كتبته تذكرةً للعالم وتعجيلاً بنفع المبتدي.. والقواعد المائة الَّتي اجتهدت في وضعها .. منها ما هو خاصٌّ ومنها ما هو عامٌّ.. وقليل منه مستعار من القواعد الفقهية..»[14].

ومن أمثلة هذا المسلك:

1. لا تنقض القواعد بمفاريد الشَّواهد
2. المشقَّة تجلب التَّيسير
3. العبرة بالغالب لا بالنَّادر
4. إعمال الكلام أولى من إهماله
5. الإعراب فرع عن المعنى
6. عدم التَّقدير أولى من التَّقدير
7. الأصل بقاء ما كان على ما كان
8. العبرة في الإعراب بالخواتيم
9. الأصل في الأخبار أن تؤخر ...الخ.



■ المسلك الرَّابع:

التماس مواضع تأثير النَّحو على مسائل الاعتقاد، فإنَّ ذلك ممَّا يزيد المتأمِّل استبصارًا في أهميَّة النَّحو، وفي فهم أثرها وتطبيقها تطبيقًا تظهر فائدته الكبرى جليًّا، وكلُّ هذا ممَّا يرفع الجفاف والجدب عن المشتغلين به، فمن أمثلة ذلك ما ذكره ابن أبي العزّ الحنفي في «شرح الطَّحاوية» (ص131) حيث قال: «ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القرَّاء السَّبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلِّم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أنِّي قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف : 143]؟! فبهت المعتزلي!

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض الردّ على منكري الصِّفات من جهة السَّمع: «أمَّا السَّمع فإنَّ أهل اللُّغة العربيَّة الَّتي نزل بها القرآن، بل وغيرها من اللُّغات، متَّفقون على أنَّ الإنسان إذا قال: (قام فلان وقعد) وقال: (أكل فلان الطَّعام وشرب الشَّراب) فإنَّه لا بدَّ أن يكون في الفعل المتعدِّي إلى المفعول به ما في الفعل اللاَّزم وزيادة، إذ كلتا الجملتين فعليَّة، وكلاهما فيه فعل وفاعل، والثَّانية امتازت بزيادة المفعول، فكما أنَّه في الفعل اللاَّزم معنى فعل وفاعل ففي الجملة المتعديَّة معنًى أيضًا فعل وفاعل وزيادة مفعول به.

ولو قال قائل: الجملة الثَّانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل، كما في الجملة الأولى، بل الفعل الَّذي هو (أكل) و(شرب) نصب المفعول - من غير تعلُّق بالفاعل أوَّلاً - لكان كلامه معلوم الفساد، بل يقال: هذا الفعل تعلَّق بالفاعل أوَّلاً، كتعلق (قام وقعد)، ثمَّ تعدَّى إلى المفعول، ففيه ما في الفعل اللاَّزم وزيادة التعدِّي، وهذا واضح لا يتنازع فيه اثنان من أهل اللِّسان.

فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد : 4]، تضمن فعلين: أوَّلهما متعدٍّ إلى المفعول به، والثَّاني مقتصر لا يتعدَّى، فإذا كان الثَّاني - وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ - فعلاً متعلِّقًا بالفاعل، فقوله: (خلق) كذلك بلا نزاع بين أهل العربيَّة.

ولو قال قائل: (خلق) لم يتعلَّق بالفاعل، بل نصب المفعول به ابتداءً، لكان جاهلاً، بل في (خلق) ضمير يعود إلى الفاعل كما في (استوى)»[15].

وهذا باب واسع جدًّا، والله المستعان.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.





(14) «الشَّرح الميسر على ألفيَّة ابن مالك» (ص12).

(15) «درء تعارض العقل والنَّقل» (2/ 5.4).

قضايا تربوية

العقيدة الصحيحة

صِمامُ أمانٍ من التَّطرُّف والفتن

د. أحمد بن قذلان المزروعي
دولة الإمارات العربية المتحدة

إنَّنا في زمان كثر فيه التَّطرُّف، وانتشر فيه الانحراف، وغاب عن كثير من المصلحين فضلاً عن عامَّة النَّاس أهمُّ ما يمنع انتشارَ هذه الأفكار الَّتي تهدِّد عقيدةَ المسلم وحياتَه ومُجتَمَعَه، ألا وهو تقريرُ العقيدةِ الصَّحيحة وتحقيقها وترسيخها؛ فهذا هو السَّببُ الأساس الَّذي يَحمي المُجتَمعاتِ من التَّطرُّف بجميع صُوَرِه، وهو صمامُ الأمان من جميع الانحرافات الغالية أو الجافية.

وذلك؛ لأنَّ طريقَ الإسلام واحدٌ، وعن جنبَتَي الطَّريق طُرقٌ كثيرة منحرفة إلى غلوٍّ، وطرقٌ أخرى منحرفةٌ إلى جفاء، وقد بيَّن الله هذا الطَّريقَ وأشار إلى تلك الطُّرقِ المُنحرفَة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام].

وأوضح النَّبيُّ ﷺ هذا الصِّراطَ، والطُّرقَ الَّتي عن جنبتي الطَّريق حين خطَّ ﷺ يومًا خطًّا فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّه» ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمين الخطِّ وعن شماله فقال: «هَذِهِ سُبُلٌ، وعلى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه» ثمَّ تلا هذه الآيةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ للخطِّ الأوَّل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ للخطوط: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

قال الشَّاطبي رحمه الله: «فالصِّراطُ المستقيمُ هو سبيلُ الله الَّذي دعا إليه وهو السُّنَّةُ، والسُّبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصِّراط المستقيم وهم أهل البدع، وليس المرادَ سُبُلَ المعاصي؛ لأنَّ المعاصي من حيث هي معاصٍ لم يَضَعْها أحدٌ طريقًا تسلك دائمًا على مضاهاة التَّشريع، وإنَّما هذا الوصف خاصٌّ بالبدع المُحدَثَات»[2].

فكلُّ طرقِ أهل البدع والأهواء، طرقُ تطرُّفٍ وانحرافٍ إلاَّ ذلك الطَّريق الواحد، وهو الإسلام الَّذي دلَّ عليه القرآنُ وفسَّرَه خيرُ الأنام مُحمَّد ﷺ، وسلكه صحابتُه الكرام رضي الله عنهم، وقد أوضح النَّبيُّ ﷺ هذه الطُّرقَ المُتطرِّفةَ وعددَ هذه الانحرافات، وبيَّن صفةَ الطَّريقِ الواحدِ الَّذي هو طريقُ

(1) رواه ابن ماجه (11) وأحمد (4142) والنَّسائي في «الكبرى» (11174) واللَّفظ له.
(2) «الاعتصام» (1/ 76).



أهل الإسلام فقال ﷺ: «تَفترقُ أُمَّتي على ثَلاث وسَبْعِين مِلَّة، كُلُّهُمْ في النَّارِ إلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْه وأَصْحَابِي»[3]، وفي رواية[4] قال ﷺ: «الجَمَاعَة».

فعلى المسلم أن يكون على هذا الطَّريق الصَّافي وعلى هذا النُّور البيِّن، ولا يذهب مع الغلاة في ظُلُماتهم، ولا مع الجُفاة في دركاتهم، بل عليه أن يكون كما أمره الله على صراطٍ مستقيم.

◇◇◇

■ **فلزوم هذه الطَّريق يَحميكَ من الوقوع في مُستنقَع الفِرَق الَّتي هي طُرُقُ هلاك وانحراف، ومناهج تطرُّف واختلاف؛ تخالف القرآنَ والسُّنَّةَ، وتهدِّدُ الأمنَ والجماعةَ، فهي مُتطرِّفةٌ تطرُّفًا واضحًا بيِّنًا من عدَّة أوجه:**

○ **الوجه الأوَّل:** تطرُّفُها بمخالفَتِها للكتاب والسُّنَّة وما عليه خيرُ القرون.

فجميعُ هذه الفرق مخالفةٌ للكتاب والسُّنَّة وما عليه الصَّحابةُ رضي الله عنهم، وما من فرقة إلَّا كان أصلُ انحرافها مخالفةَ أحد هذه الأصول الثَّلاثة، وهذا أصلُ التَّطرُّف والانحراف.

وقد توعَّدَ اللهُ مَنْ خالف هذه الأصولَ فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

○ **الوجه الثَّاني:** تطرُّفُها ببُغضِها لحكَّام المسلمين.

فكلُّ فرقة من هذه الفرق تبغض السُّلطانَ، أو عندها خَلَلٌ في عقيدة السَّمع والطَّاعة لحكَّام المسلمين، ومن هذا الوجه فهي تهدِّدُ الأمنَ في الأوطان.

قال سَهلٌ التُّستَري رحمه الله: «هذه الأمَّةُ ثلاثٌ وسبعون فرقة: اثنتان وسبعون هالكة، كلُّهم يُبغض السُّلطانَ، والنَّاجية هذه الواحدة الَّتي مع السُّلطان»[5].

وقال أبو قلابة رحمه الله: «ما ابْتَدَعَ قومٌ بدعةً إلَّا استحلُّوا السَّيفَ»[6] أي خرجوا على السُّلطان.

○ **الوجه الثَّالث:** تطرُّفُها بدعوتها للتَّحزُّبات.

وذلك؛ لأنَّ كلَّ فرقة منها مفارقةٌ ومُفرِّقَةٌ للجماعة؛ إذ ما من فرقة إلَّا وتدَّعي أنَّ الحقَّ معها فتُوَالي من معها وتُكفِّر أو تعادي أو تفارق مَنْ خالفها.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

يقول الطَّبري في تفسير الآية: «كلُّ طائفة وفرقة من هؤلاء الَّذين فارقوا دينَهم الحقَّ، فأحدثوا البدعَ الَّتي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: بما هم به مُتمسِّكون من المذهب، فَرِحون مَسرُورون، يَحسبون أنَّ الصَّوابَ معهم دون غيرهم»[7].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، أي: «ولا يزال الخُلفُ بين النَّاس في أديانهم واعتقاداتهم ومِلَلهم ونِحَلِهم ومذاهبهم وآرائهم، إلَّا المَرحُومين من أتباع الرُّسُل، الَّذين تمسَّكوا بما أُمِرُوا به من الدِّين، أخبرتْهم به رسلُ الله إليهم، ولم يزَلْ ذلك دأبَهم، حتَّى كان النَّبيُّ ﷺ الأُمِّيُّ خاتمَ الرُّسل والأنبياء، فاتَّبعوه وصدَّقوه، ونصروه ووازروه، ففازوا بسعادة الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّهم الفرقةُ النَّاجية»[8].



■ **وتطرُّف جميع الفرق المنحرفة على نوعَيْن:**

○ **النَّوع الأوَّل:** تطرُّفٌ خاصٌّ، وهو ما اختُصَّت به كلُّ فرقة بانحرافٍ معيَّنٍ في بابٍ من أبواب العقيدة.

○ **النَّوع الثَّاني:** تطرُّفٌ مُشتَركٌ وهو اشتراكُ جميع الفرقة المنحرفة في مخالفة الكتاب والسُّنَّة، وبغض حكَّام المسلمين، وتفريق جماعة المسلمين.

وأمَّا أهلُ الحقِّ فهم أهل سنَّة وجماعةٍ؛ تمسَّكوا بالسُّنَّة، ولزموا الجماعةَ فسلِموا من جميع أنواع التَّطرُّف والانحراف فحقَّقوا الأمنَ للبلاد وللعباد.

◇◇◇

فإذا تبيَّن هذا وجب على كلِّ مسلم أن يطلُبَ العلمَ المُوصِلَ إلى عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ إذ لا عصمةَ بعد فضل الله من هذا التَّفرُّق ومن ألوان التَّطرُّف إلَّا بالتَّمسُّك بهذه العقيدة المباركة.

قال الحسن البصري رحمه الله: «العامل على غير علم كالسَّالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يُفسدُ أكثرَ ممَّا يُصلِح، فاطْلُبوا العلمَ طلبًا لا تضرُّوا بالعبادة، واطلبوا العبادةَ طلبًا لا تضرُّوا بالعلم؛ فإنَّ قومًا طلبوا العبادةَ وتركوا العلمَ حتَّى خرجوا بأسيافهم على أمَّةِ

(3) حسن، رواه التِّرمذي (2641)، وأبو داود (4599)، وابن ماجه (3992).
(4) أحمد (16937)، ينظر: «الصَّحيحة» (204).
(5) يُنظَر: «قوت القلوب» (2/ 209).
(6) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للَّالَكَائي (247).
(7) «تفسير الطَّبري» (21/ 51).
(8) يُنظَر: «تفسير ابن كثير» (4/ 1820).

محمَّد ﷺ، ولو طلبوا العلمَ لم يدُلَّهم على ما فعلوا»[9].

فطلب علم العقيدة الصَّحيحة واجبٌ يُؤَمِّن الفردَ من جميع أنواع التَّطرُّف؛ إذ كلُّ أصلٍ من أصول هذه العقيدة الصَّحيحة يقابِلُها مَنهَجُ تطرُّفٍ غالٍ أو جافٍ.



■ **ويتَّضحُ لك ذلك بذكر بعض أصول العقيدة مختصرة مع ما يضادُّها من نوع التَّطرُّف والانحراف:**

○ فتوحيد الرُّبوبيَّة وهو اعتقاد أنَّ اللهَ هو الخالق البارئُ المُدبِّرُ المالكُ، عاصمٌ من تطرُّفِ الإلحاد الجاحدِ لوجود الله أو لخَلقِه للكون وما فيه.

○ وتوحيدُ الألوهيَّة وهو إفراد الله بالعبادة كلِّها، عاصم من تطرُّف الشِّرك في عبادة الله الَّذي وقع فيه القبوريُّون.

○ وتوحيد الأسماء والصِّفات وهو إثبات الأسماء الحسنى والصِّفات العلى لله تعالى، عاصم من تطرُّف نفي الصِّفات الَّذي وقع فيه الجهميَّةُ والمعتزلةُ وأفراخهم، وعاصم من تطرُّف تمثيل الصِّفات الَّذي وقع فيه الممثِّلةُ المشبِّهةُ.

○ والإيمان بمحمَّد ﷺ بأنَّه عبدُ الله ورسولُه، عاصم من تطرُّف الغلوِّ فيه كالَّذين يدعونه من دون الله، وعاصم من تطرُّف الجُفاة التَّاركين لسنَّته ﷺ أو الطَّاعنين في الأحاديث الصَّحيحة كالقرآنيِّين أو العقلانيِّين أو العلمانيِّين الَّذين أبعَدُوا الدِّينَ عن الحياة.

○ والإيمان بالقرآن أنَّه نورٌ وهدى وأنَّه كلامُ الله ـ جلَّ وعلا ـ، عاصم من تطرُّفِ المكذِّبين به أو النَّافين لكونه كلامَ الله حقيقةً.

○ والإيمان بالملائكة وأنَّهم خَلقٌ من خَلقِ الله خُلقُوا من نورٍ وهم عباد مُكرَمُون، عاصم من تطرُّف المشركين الَّذين قالوا إنَّ الملائكةَ بناتُ الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ وعاصمٌ كذلك من تطرُّف الفلاسفة الَّذين أنكروا وجودَهم.

○ والإيمان باليوم الآخر من فتنة القبر ونعيمه وعذابه والبعث والحشر والحساب والميزان والصِّراط والجنَّة والنَّار، عاصم من تطرُّف المشركين النَّافين للبعث والنُّشور، ومن تطرُّف المعتزلة والجهميَّة النَّافين لبعض ما يكون في اليوم الآخر.

○ والإيمان بالقدر خيره وشرِّه وأنَّ اللهَ عَلِمَ ما كان وما يكون وأنَّه في كتابٍ مكنونٍ قد شاءه اللهُ وخَلَقَه، عاصم من تطرُّفِ القدريَّة والجبريَّة.

○ ومعرفةُ حقِّ الصَّحابة ﷺ ومكانتهم واعتقادُ أنَّهم أفضل الخلق بعد الرُّسل، عاصم من تطرُّف الرَّافضة الطَّاعنين في جُلِّ الصَّحابة، المُكفِّرين لهم، الغالين في بعض الصَّحابة كآل البيت، وعاصمٌ كذلك من تطرُّف النَّاصبة الطَّاعنين في آل بيت النَّبيِّ ﷺ.

○ ومعرفةُ حقوق ولاة أمر المسلمين من السَّمع والطَّاعة لهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم، عاصم من تطرُّفِ الخوارج والمعتزلة، والجماعات المعاصرة كحزب الإخوان المسلمين ومن تولَّد منهم من الَّذين يُعلِنُون الثَّورات ويَطعَنُون في الحُكَّام.

○ والاعتقاد بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية، عاصم من تطرُّف المرجئة الَّذين سهَّلوا للنَّاس الوقوعَ في المعاصي وعاصم من تطرُّف الخوارج الَّذين كفَّرُوا المسلمين بوقوعهم في المعاصي.

○ واعتقادُ إسلام المسلم ومعرفةُ ما له من حقوق في الإسلام، عاصم من تطرُّف التَّكفيريِّين الَّذين كفَّرُوا وقتلوا المسلمين بغير حقٍّ.



وهكذا بقيَّةُ مسائل الاعتقاد، فلا نجاةَ من جميع أنواع التَّطرُّف إلاَّ بتحقيقِ العقيدة الصَّافية المستمَدَّة من الكتاب والسُّنَّةِ وما عليه خيارُ الأمَّةِ.





(9) «جامع بيان العلم وفضله» (1/ 545).

حتَّى في العبادات والأخلاق فالعقيدةُ أساسٌ لجميع الأخـلاق، مُقوِّمةٌ لجميع العبادات؛ لذلك بيَّن الله تعالى أنَّ من اختلَّتْ عقيدتُه اختلَّ عَملُه وانحرَفَتْ أخلاقُه فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ المَاعُونِ].

فعندما اختلَّت العقيدةُ بتكذيبه ليوم القيامة، اختلَّت معاملتُه مع اليتيم والمسكين بل أصبح يُرائي في صلاته، ويمنع إعطاءَ الأشياءِ اليسيرةِ لجيرانه كالماعون.

فهذه هي عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة صمام أمان من التَّطرُّف، وسوءِ الأخلاق، وهذا من مُميِّزاتها، كما أنَّ ممَّا يُميِّزها كذلك أنَّها عقيدةٌ ثابتةٌ وقويَّةٌ، موافقةٌ للفطرة وللعقول السَّليمة، وهي كذلك عقيدةٌ سالمةٌ من التَّناقضات، كما أنَّها عقيدةُ نجاةٍ من الفتنِ الدُّنيويَّة والعذاب في الآخرة.

ومن المهمِّ - بل من الواجب - تنشئةُ الأجيال والأطفال على هذه العقيدة الصَّافية حتَّى تكونَ عندهم حصانةٌ من كلِّ نوع من أنواع التَّطرُّف كما قال ابنُ أبي زَيد القيروانِي المالكي: «واعلَمْ أنَّ خيرَ القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يَسبِق الشَّرُّ إليه، وأَوْلَى ما عُنِيَ به النَّاصحون، ورغبَ في أجره الرَّاغبون إيصالُ الخير إلى قلوب أولادِ المؤمنين ليَرسُخَ فيها، وتنبيهُهم على معالم الدِّيانة، وحدودِ الشَّريعةِ ليُرَاضوا عليها، وما عليهم أن تعتقدَه من الدِّين قلوبُهم، وتعمَل به جوارحُهم.

وقد جاء أن يُؤمَرُوا بالصَّلاة لسبع سنين ويُضرَبوا عليها لعشر ويُفرَّقَ بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يُعلَّموا ما فرَضَ الله على العباد من قول وعمل قبلَ بلوغهم؛ ليأتيَ عليهم البلوغُ وقد تمكَّن ذلك من قلوبهم وسكنَتْ إليه أنفسُهم وأَنِسَتْ بما يعلمون به من ذلك جوارِحُهم»[10].



■ لذلك فممَّا يقترح هنا من مُقترَحات هامَّة لترسيخ العقيدة في قلوب البنين والبنات:

○ **المقترح الأوَّل:** تدريس العقيدة عن طريق المناهج التعليميَّة.

وذلك بأن تُقرَّرَ العقيدةُ على عدَّةِ مراحل:

المرحلة الأولى: للطِّفل في مرحلة الابتدائي على أن تمتاز هذه المرحلة بسهولة الطَّرح وترسيخ أهمِّ معالم العقيدة، بعيدًا عن الرُّدود وذكرِ الشُّبه والانحرافات.

المرحلة الثَّانية: مرحلة المتوسِّط، وفي هذه المرحلة يُتوسَّع في دراسة العقيدة ويُرتَقَى بأسلوب طرحِها عن المرحلة الأولى بقليل، على أن تمتاز هذه المرحلة بذكر أدلَّة كلِّ أصلٍ من أصول العقيدة باختصار، مع حفظِ الأصول مع أدلَّتها وفَهمها فهمًا صحيحًا وترسيخها ترسيخًا قويًّا.

المرحلة الثَّالثة: مرحلة الثَّانوي، وتكون دراسةُ العقيدة فيها بشكل أوسع من حيث التَّأصيل وذكر الدَّليل، وربط ذلك بكلام أئمَّة الدِّين، مع بيان شيءٍ من الانحرافات العقديَّةِ الَّتي وقعَتْ فيها الفِرَقُ المخالفةُ للكتابِ والسُّنَّة بشكلٍ مُجمَلٍ غيرَ مفصَّل، مع الرَّدِّ عليها بذكر الدَّليل.



○ **المقترح الثَّاني:** تدريس العقيدة من خلال حِلَقِ تحفيظ القرآن.

ويكون ذلك من خلال طريقتَيْن:

الأولى: بوضع منهج مناسبٍ لكلِّ حلقة من الحلقات، مع مُراعاة المراحل العمريَّة.

والثَّانية: ترسيخ فقرات العقيدة من خلال الوقوف على آيات العقيدة في القرآن الكريم.

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّاسِ] فيُعلَّم الحافظ من خلال هذه الآيات:

1 - توحيدُ الله في ربوبيَّته وذلك في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

2 - وتوحيدُ الله في أسمائه وصفاته وذلك في قوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

3 - وتوحيد الله في ألوهيَّته وذلك في قوله: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

وهنا ستظهر ثمراتُ حفظِ القرآن وتُرسِّخ معانيه وعلومه في قلوب الولدان والشُّبَّان، فيزدادون به إيمانًا كما قال جندب بنُ عبد الله رضي الله عنه: «كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ ونحن فتيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[11]، فتعلَّمْنا الإيمانَ قبل أن نتعلَّم القرآنَ، فازْدَدْنا به إيمانًا»[12].



(10) «مُقدِّمة الرِّسالة» (54).

(11) جمع الحَزَوَّر، وهو الغلام إذا اشتدَّ وقوِيَ وحزم.

(12) رواه ابن ماجه (61).

○ **المقترح الثَّالث:** تدريس العقيدة من خلال الأحاديث النَّبويَّة الصَّحيحة.

وذلك بوضع منهج تعليميٍّ تُنتَقَى فيه أحاديثُ العَقيدة، ويقوم المعلِّمُ بتدريسها ويُطلَب من التَّلاميذ حفظُها، ويجعل في أصل ذلك الحديثَ المشتهر بحديث جبريل، الَّذي رواه مسلم في «صحيحه».

فمن خلال هذا الحديث يتعلَّم الطَّالبُ مراتبَ الدِّين وأركانَ كلِّ مرتبة، ويُفصَّل له في شرح هذه الأركان على حسب الفئات العُمُريَّة.



○ **المقترَحُ الرَّابع:** مسابقةُ حفظ المتون العقديَّة.

وذلك بوضع مسابقات في حفظ متون العقيدة على ثلاثة مستويات مثلاً:

المستوى الأوَّل: حفظ نَظْمِ «حائيَّة ابنِ أبي داود».

المستوى والثَّاني: حفظ مقدِّمةِ «الرِّسالة» أو «نظم ابنِ مشرِّف».

المستوى الثَّالث: حِفظُ «سُلَّم الوصول» أو مقدِّمة الكتاب «الجامع» للقيرواني.

○ **المقترح الخامس:** تدريس العقيدة في المساجد.

ويكون إلقاءُ الدُّروس فيها على طريقتَيْن:

الطَّريقة الأولى: طريقةُ المحاضرات

وهذه المحاضرات على نوعَيْن:

النَّوع الأوَّل: التَّوجيه العقدي المباشر، وذلك بطرح أصول العقيدة بصورةٍ مباشرةٍ واضحة.

مثال ذلك سلسلة محاضرات تحقيق السَّمع والطَّاعة لولاة الأمر، عناوين هذه السِّلسلة:

1. نعمة الأمن.
2. وجوب وجود وليِّ الأمر، أهمِّيَّته.
3. وجوب بيعة وليِّ الأمر.
4. وجوب السَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر.
5. وجوب لزوم الجماعة.
6. التَّحذير من الخروج والخوارج.

النَّوع الثَّاني: التَّوجيه العقدي غير المباشر، وذلك بطرح المواضيع الوعظيَّة والأخلاقيَّة وربطِها بأصول العقيدة؛ مثال ذلك:

الحثُّ على إكرام الضَّيف وعدم إيذاء الجيران ولزوم الصَّمت؛ فلا يقول المرءُ إلاَّ خيرًا كما قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْم الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ»[13].

فيربط فضل هذه الثَّلاث بجانب تحقيقِ العقيدة، فكلَّما كان العبدُ قويَّ الإيمان بالله واليوم الآخر كان أكثَرَ كرمًا وإحسانًا وصمتًا وقولاً للخير.

الطَّريقة الثَّانية: عن طريق تدريس متون العقيدة، وتجعل على أربع مراحل:

المرحلة الأولى: يبدأ بـ«مقدِّمة» ابن أبي زيد القيرواني أو نَظمِها لأحمد ابنِ مُشرِّف.

المرحلة الثَّانية: يَنتَقِلُ إلى مُقدِّمة الكتاب «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني.

المرحلة الثَّالثة: يشرع في تدريس كتابِ «أصول السُّنَّة» لابن أبي زَمَنِين المالكي.

المرحلة الرَّابعة: يَشرَع في تدريس «العقيدة الطَّحاوية» ويستعين بشرح ابن أبي العزِّ الحنفي.



○ **المقترح السَّادس:** التَّركيزُ على العقيدة في خطب الجمعة.

وهذا جانب مُهِمٌّ وقويٌّ؛ إذ هو المَجمَعُ الأسبوعي لعامَّةِ النَّاس، وليكنْ تقريرُ العقيدة في خطب الجمعة بطريقَيْن:



(13) رواه البخاري (6018) ومسلم (47).

الطَّريق الأَوَّل: الطَّرحُ العقدي المباشر.

الطَّريق الثَّاني: الطَّرح العقدي غيرُ المباشر وهذا الَّذي ينبغي أن لا تخلُوَ منه خطبةٌ من الخطب.

ويُنتبه هنا إلى أمرَيْن مهمَّيْن:

الأَوَّل: الاستمداد العقدي.

حيث يجب أن تُستَمَدَّ أصولُ العقيدة من الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة ومن كتب العلماء المُعتَبَرين؛ إذ كلُّ عقيدة مبنيَّة على غير نصوص الوحيَيْن وما أجمَعَتْ عليه القرونُ المُفضَّلةُ لا خير فيها، بل الانحراف في صحَّةِ الاستمداد يُؤدِّي إلى الانحراف في فهم العقيدة الصَّحيحة، ممَّا يُؤدِّي إلى انحرافات أكبر وأكثر، وقد أوضح عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه ذلك بقوله: «يكون عليكم أُمَرَاءُ يتركُون من السُّنَّة مثلَ هذا ـ وأشار إلى أصل إصبعه ـ وإن تَركتُمُوهم جاءوا بالطَّامَّة الكبرى، وأنَّها لم تكُنْ أمَّةٌ إلاَّ كان أوَّلَ ما يَترُكون من دينهم السُّنَّة، وآخر ما يَدَعُون الصَّلاةَ، ولولا أنَّهم يَسْتَحْيُون ما صَلَّوْا»[14].

الثَّاني: اختيار المُتخصِّصين الموثوقِ بعِلمِهم وعقيدتهم.

فالواجب أن يكون واضعُ هذه المناهج ومُدرِّسُها أهل المنهج المعتدل، فوضع هذه المناهج والخطب يحتاج إلى لجان مُتخصِّصةٍ في المجال العقدي عارفةٍ بواقع المجتمع.

وللمعلِّم أثرٌ على طلاَّبه سلبًا وإيجابًا:

يقول أبو إسحاق الجِبْنَيَاني المالكي:

«لا تُعلِّموا أولادَكم إلاَّ عند رجل حسنِ الدِّين، يَدينُ الصَّبيُّ على دينِ مُعلِّمِه، فلقد عرفتُ مُعلِّمًا كان يخفي القول بخلق القرآن، ففُطِنَ له، فلمَّا عَلِمَ أنَّه يُطرَد، وَقَف بين يَدَي مكتَبِه، وقال لصبيانه: ما تقولون في القرآن؟ قالوا لا علم لنا، فقال: هو مخلوق، ولا تُزالون عن هذا القول لو قُتِلْتُمْ، فماتوا كلُّهم على هذا الاعتقاد.

قال: وبلغنا عن معلِّمٍ عفيف، رُئي وهو يدعو حول الكعبة ويقول: اللَّهمَّ أيُّمَا غلامٍ علَّمتُه، فاجعَلْه في عبادك الصَّالحين، فبلغني أنَّه خرج على يدَيْه نحوًا من تسعين عالمًا وصالحًا، وكان يتعَلَّمُ عنده جماعةٌ من أولاد الكُتَاميِّين[15]، ولا يأخذ منهم شيئًا ولا يُعلِّمهم يكتبون، إنَّما يُعلِّمهم القرآنَ والسُّنَّةَ، يقول: لم يصلحوا بعد لذلك حتَّى يصلح، فخرج كلُّ كُتَامي علَّمه على الكتاب والسُّنَّة»[16].

إنَّه كلَّما كانت العقيدةُ صحيحةً صافيةً مستمدَّةً من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وما كان عليه القرون المُفضَّلةُ من الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين والأئمَّة المُعتَبَرين، كان المجتمع أكثرَ تماسكًا وأقوى لُحمةً وأرْهَبَ للعدوِّ وأحمى للوطن.

وكما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: «لا يزال النَّاسُ صالحين مُتماسِكين ما أتاهم العلمُ من أصحاب مُحمَّدٍ ﷺ ومن أكابرِهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا»[17].

والحمد لله ربِّ العالمين.



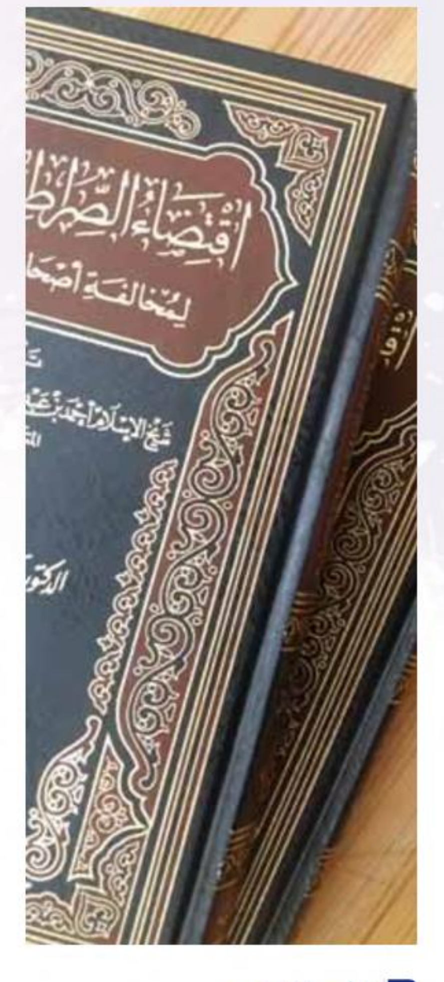
(14) رواه الحاكم في «المستدرك» (4/ 519) وقال: «صحيح على شرط الشَّيخَيْن»، ووافقه الذهبي.

(15) هذه النِّسبة إلى كُتَامَة، وهي قبيلة من البربر، نزلت ناحيةً من بلاد الجزائر، يُنظَر: «الأنساب» للسَّمعاني (5/ 31).

(16) «ترتيب المدارك» (3/ 271).

(17) «المُعجَم الكبير» للطَّبراني (8590).





اعتبار القصد في التشبُّه بالكفَّار

عباس ولد عمر
إمام خطيب ـ الجزائر العاصمة

من الأصول والقواعد العظيمة الَّتي قامت عليها الشَّريعة، وقام عليها دين الإسلام؛ البراءةُ من المشركين أعداءِ الله تعالى، وتركُ التشبُّه بهم فيما هو معدود من خصائصهم، ومع ذلك فقد وقع في مخالفتها كثير المسلمين اليوم فتراهم يسارعون في التشبُّه بأعداء الملَّة وتقليدهم حتَّى في الأمور الدَّنيئة الَّتي يأباها أهل العقول السَّليمة فضلاً عمَّن أكرمه الله تعالى بالهداية إلى الشّرعة القويمة، وهذا كلُّه تصديق لقوله ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ». قلنا: يا رسول الله اليهود والنَّصارى؟ قال: «فَمَنْ»[1].

ولا ريب أنَّ هذا البلاء إنَّما استشرى في الأمَّة بعد غزو الاستدمار لديارها وعمله على طمس معالم هويَّتها، وإلاَّ فلا يعرف في تاريخ الأمَّة أنَّها بلغت هذا المبلغ الخطير من تقليد أعدائها والانبهار بهم كما هو الحال اليوم، وسبب ذلك كما يقول ابن خلدون: «إنَّ المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيِّه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسَّبب في ذلك أنَّ النَّفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه»[2].

(1) رواه البخاري (3456)، ومسلم (2669).
(2) «تاريخ ابن خلدون» (1/ 184).

ومن أظهر الأدلَّة الَّتي تنهى عن التشبُّه وتحرمه:

قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الحديث أقلّ أحواله أن يقتضي تحريم التشبُّه بهم»[4].

وهل يكون التشبُّه محرَّمًا بمجرَّد الفعل أم يشترط فيه وجود القصد؟

الَّذي يظهر لمن تأمَّل نصوص الشَّريعة واعتبر مقاصدها أنَّ التشبُّه منهيٌّ عنه قَصَد فاعلُه ذلك أم لم يَقْصِد،

(3) رواه أحمد (5114)، وأبو داود (4031) بإسناد حسن.
(4) «اقتضاء الصِّراط المستقيم» (1/ 270).

ذلك أنَّ تعليق الحكم على وجود القصد يرجع على هذا الأصل بالإبطال والنَّقض، لأنَّه يفتح على أهل الإسلام باب التشبُّه بأعداء الله واتِّباع سبيلهم مع الاعتذار بعدم قصد موافقتهم، ثمَّ إنَّ ذلك يمنع من إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لعدم إمكان التَّمييز بين من يفعل ذلك قاصدًا له ومن لم يقصده، وزيادة على هذا كلِّه فلا يخلو التشبُّه بهم من المفاسد والمحاذير الظَّاهرة والباطنة ولو سلَّمنا بانتفاء نيَّة التشبُّه. لهذا رغبت في بيان حكم هذه المسألة بذكر ما يدلُّ عليها من الكتاب والسنَّة مسترشدًا في ذلك بأقوال العلماء، مقتصرا في النَّقل عن كتاب «اقتضاء الصِّراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»[5]؛ لأنه أجمع وأنفع ما صُنِّف في هذا الباب، وفيه من حسن التَّحرير وقوَّة الاستدلال ما لا يوجد في غيره.

هذا، وإنَّ تحريم التشبُّه بالمشركين ـ وإن لم يقم في قلب المتشبِّه قَصْدُ التشبُّه بهم ـ يُستدل عليه من طرق:

الطَّريق الأولى: أنَّ النُّصوص جاءت تنهى عن ذلك بإطلاق ومن غير تقييد، فمن ادَّعى التَّقييد فعليه بالدَّليل، بل إنَّ في بعض تلك النصوص ما هو صريح في النَّهي عن المشابهة مع انتفاء قصد الموافقة، فالتشبُّه علَّة قائمة بنفسها متى وجدت تحقق الحكم، وليس علَّة النَّهي قصد المشابهة، وإليك الأدلَّة:

1. قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». يقول ابن تيمية عن هذا الحديث (1/ 271):

«وبكلِّ حال يقتضي تحريم التشبُّه بعلَّة كونه تشبُّهًا، والتشبُّه يعمُّ من فعل الشَّيء لأجل أنَّهم فعلوه وهو نادر ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك إذا كان أصل الفعل مأخوذًا عن ذلك الغير...».

2. حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصفرين فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا»[6].

من المقرَّر في الأصول: أنَّ من طُرق إثبات العلَّة بالنَّقل تعقيب الوصف بالحكم بحرف الفاء، فإنَّه يدلُّ على أنَّ ذلك الوصف علَّةٌ للحكم[7]،فعلَّل هنا ﷺ نهيه عن اللّبس بكونها من ثياب الكفَّار (وتعليل النَّهي بعلَّة يوجب أن تكون العلَّة مكروهة مطلوب عدمها)[8].

قال القرطبي: «يدلُّ على أنَّ علَّة النَّهي عن لباسهما التشبُّه بالكفَّار»[9].

وقال شيخ الإسلام (1/ 360): «علَّل النَّهي عن لبسها بأنَّها: من ثياب الكفَّار، وسواء أراد أنَّها ممَّا يستحلُّه الكفَّار بأنَّهم يستمتعون بخلاقهم في الدُّنيا، أو ممَّا يعتاده الكفَّار لذلك».

فيستفاد من الحديث:

أنّ مفارقة المسلم المشرك في اللِّباس أمر مطلوب شرعًا، وأنَّه لا يجوز له أن يلبس ما اختصُّوا به من الثِّياب قَصَد التشبُّه بهم أم لم يقصد، ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يستفصل من ابن عمرو هل قصد التشبُّه أم لا، فيدلُّ على أنَّه منهيٌّ عنه في الحالين وإن كانت إحداهما أشدَّ من الأخرى، ومن المقرَّر عند علماء الأصول: «أنَّ ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزَّل منزلة العموم في المقال».

3. ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى المسلمين بأذربيجان: «وإيَّاكم والتَّنعُّمَ وزِيَّ أهل الشِّرك»[10].

ووجهُهُ: أنَّه نهاهم نهيًا مطلقًا عن كلِّ ما كان من زيِّ المشركين، ولو كان المعتبر قصد التشبُّه لبيَّنهُ لهم.

4. عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّه ﷺ رأى رجلاً يتَّكئ على يده اليسرى وهو قاعد في الصَّلاة فقال له: «لا تجلس هكذا؛ فإنَّ هكذا يجلس الَّذين يعَذَّبون»[11]. وعنه أيضا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصَّلاة فقال: «إنَّها صلاة اليهود»[12].

وقد ثبت هذا النَّهي خارج الصَّلاة، فعن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا ـ وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتَّكأتُ على ألية يدي ـ فقال: «أتقعد قِعدة المغضوب عليهم؟!»[13].

ففي هذه الأحاديث نهى النَّبيُّ ﷺ عن هذه الهيئة معلِّلاً بأنَّها من فعل اليهود أو أنَّها من أمر الَّذين يعذَّبون، فدلَّ على أنَّه لا اعتبار للمقاصد في هذه المسائل.

5. وقد أسلفتُ أنَّ بعض النُّصوص تنهى عن المشابهة مع انتفاء قصد الموافقة فيها، وأزيد هنا فأقول:

إنَّه لا يمكن تصوُّر وجود قصد الموافقة فيها كما في حديث عمرو ابن عبسة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «صلِّ صلاة الصُّبح ثمَّ أقصر عن الصَّلاة حتَّى تطلع الشَّمس حتَّى ترتفع، فإنَّها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها

(5) أشير إلى الكتاب برقم الصَّفحة فقط في ثنايا المقال.

(6) رواه مسلم (2077).

(7) انظر: «روضة النَّاظر» مع مذكِّرة الشَّنقيطي عليها (392).

(8) «الاقتضاء» (1/ 386).

(9) «المفهم» (5/ 399).

(10) رواه مسلم (2069).

(11) رواه أحمد (5972)، وأبو داود (994).

(12) رواه الحاكم (1007).

(13) أحمد (19454)، وأبو داود (4848)، وصحَّحها الألباني في «أصل صفة الصَّلاة» (3/ 835).

الكفَّار ... حتَّى تصلِّي العصر ثمَّ أقصر عن الصَّلاة حتَّى تغرب الشَّمس فإنَّها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفَّار»[14].

قال شيخ الإسلام (1/218 ـ 219): «ومعلوم أنَّ المؤمن لا يقصد السُّجود إلاَّ لله تعالى، وأكثر النَّاس قد لا يعلمون أنَّ طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أنَّ الكفَّار يسجدون لها، ثمَّ إنَّه ﷺ نهى عن الصَّلاة في هذا الوقت حسمًا لمادَّة المشابهة بكلِّ طريق».

وقال في موضع آخر (2/193): «فينهى المسلم عن الصَّلاة حينئذ ـ وإن لم يقصد ذلك ـ سدًّا للذَّريعة».

6. حديث جابر رضي الله عنه الَّذي فيه أنَّ رسول الله ﷺ اشتكى فصلَّى قاعدًا وهم قيام فأشار إليهم فلمَّا سلَّم قال: «إِنْ كِدْتُمْ آنفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِس وَالرُّوم؛ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ فَلاَ تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ؛ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا»[15].

قال ابن تيمية (1/226 ـ 227): «ومعلوم أنَّ المأموم إنَّما نوى أن يقوم لله لا لإمامه وهذا تشديد عظيم في النَّهي عن القيام للرَّجل القاعد، ونهى أيضًا عمَّا يشبه ذلك وإن لم يقصد به ذلك، ولهذا نهى عن السُّجود لله بين يدي الرَّجل، وعن الصَّلاة إلى ما قد عبد من دون الله، كالنَّار ونحوها.

وفي هذا الحديث أيضًا نهى عمَّا يشبه فعل فارس والرُّوم وإن كانت نيَّتنا غير نيَّتهم لقوله: «فَلاَ تَفْعَلُوا»؛ فهل بعد هذا في النَّهي عن مشابهتهم في مجرَّد الصُّورة غاية؟!».

(14) رواه مسلم (832).
(15) رواه مسلم (413).

7. ومنها: قوله ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبغُونَ فَخَالِفُوهُمْ». وقوله: «غَيِّرُوا الشَّيبَ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى»[16].

وقال (1/473): «وقد تقدَّم بيان: أنَّ ما أمر به من مخالفتهم مشروع، سواء كان ذلك الفعلُ ممَّا قَصَدَ فاعلُه التشبُّهَ بهم أو لم يَقصد، وكذلك ما نهي عنه من مشابهتهم يعمُّ ما إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد؛ فإنَّ عامَّة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يُتصوَّر قصد المشابهة فيه، كبياض الشَّعر وطول الشَّارب ونحو ذلك».

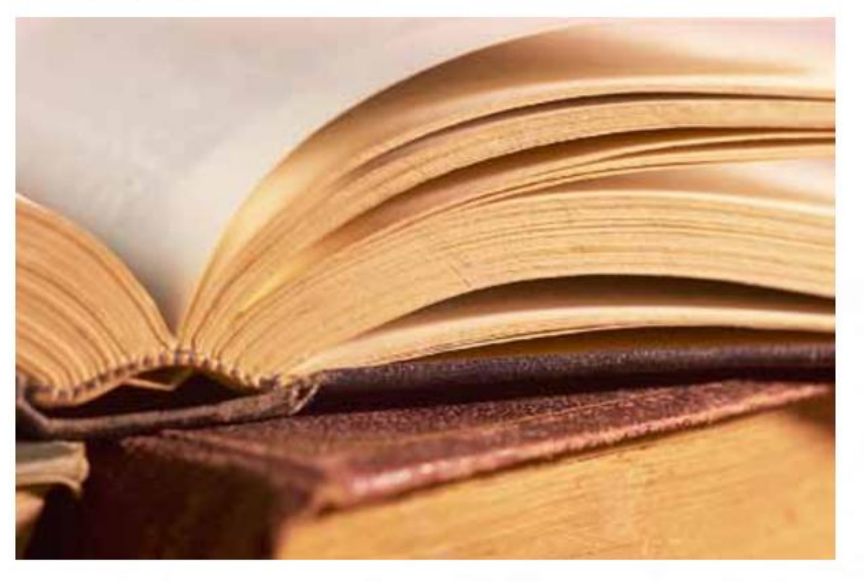
وأدلَّة هذا الباب كثيرة وفيما ذكر غنية وكفاية إن شاء الله تعالى.

الطَّريق الثَّانية: أنَّه ينهى عن التشبُّه بأعداء الله ـ ولو لم يوجد قصد التشبُّه ـ من باب سدِّ الذَّرائع، وسدّ الذَّرائع قاعدة من قواعد الشَّريعة العظيمة، والمقصود بها أنَّ ما أفضى إلى الحرام وكان سببًا فيه حكم بتحريمه والنَّهي عنه، والتشبُّه وإن لم يُقصد فإنَّه يؤدِّي إلى ميل المسلم إلى الكافر وترك التبرُّؤ منه، واستراقه من طبعه وأخلاقه، وعدم حصول التَّميز بين المرضيِّين المهديِّين والمغضوب عليهم والضَّالِّين، إلى غير ذلك من المفاسد المقطوع بتحريمها، فتكون الوسيلة الَّتي أدَّت إلى هذه المنكرات محرَّمة، ولهذا نهى عن التشبُّه في أحوال لا يتصوَّر قيام قصد التشبُّه فيها كما تقدَّم، وهذه نقول أخرى عن شيخ الإسلام في تخريج فروع هذه المسألة على هذا الأصل.

قال رحمه الله (1/551): «والمشابهة الظَّاهرة مظنَّة الموادة، فتكون محرَّمة».

وقال (1/500): «بل قد بالغ ﷺ في أمر أمَّته بمخالفتهم في كثير من المباحات وصفات الطَّاعات؛ لئلاَّ يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزًا ومانعًا عن سائر أمورهم، فإنَّه كلَّما كثرت المخالفة بينك وبين أصحاب الجحيم، كان أبعد لك عن أعمال أهل الجحيم، فليس بعد حرصه على أمَّته ونصحه لهم غاية ـ بأبي هو وأمِّي ـ وكلّ ذلك من فضل الله عليه وعلى النَّاس ولكنَّ أكثر النَّاس

(16) الحديث الأوَّل عند البخاري (3462، 5899)، ومسلم (2103)، والثَّاني عند أحمد (7545، 10472) والتِّرمذي (1752) وهو في «الصَّحيحة» (836).



لا يعلمون».

الطَّريق الثَّالثة: أنَّ المفاسد المترتِّبة على هذا المحرَّم حاصلة حتَّى مع عدم وجود القصد وإن كانت مع وجوده أشدّ وأكثر.

فقد بيَّن شيخ الإسلام أنَّ المشابهة في الظَّاهر مَفسدةٌ في نفسها كما أنَّ المخالفة مصلحة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ (1/197 ـ 198): «إنَّ نفس المخالفة لهم في الهدي الظَّاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين؛ لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة الَّتي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم، وإنَّما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنوّر قلبه حتَّى رأى ما اتَّصف به المغضوب عليهم والضَّالُّون من المرض الَّذي ضرره أشدّ من ضرر أمراض البدن».

وقال أيضا (1/95 ـ 96): «إنَّ الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم قد يكون لأنَّ نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة، وكذلك نفس قصد مخالفتهم أو نفس مخالفتهم مصلحة، بمعنى: أنَّ ذلك الفعل يتضمَّن مصلحةً للعبد أو مفسدةً؛ وإن كان ذلك الفعل الَّذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرَّد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة، ولهذا نحن ننتفع بنفس متابعتنا لرسول الله ﷺ والسَّابقين في أعمال لولا أنَّهم فعلوها لربَّما قد كان لا يكون لنا مصلحة؛ لما يورث ذلك من محبَّتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأنَّ ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى، إلى غير ذلك من الفوائد. كذلك قد نتضرَّر بمتابعتنا الكافرين في أعمال لولا أنَّهم يفعلونها لم نتضرَّر بفعلها، وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة لأنَّ ذلك الفعل الَّذي يوافق فيه أو يخالف متضمِّن للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه، لكن عبَّر عن ذلك بالموافقة والمخالفة على سبيل الدَّلالة والتَّعريف؛ فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة ومخالفتهم دليلاً على المصلحة».

وقد عدَّد رَحِمَهُ اللَّهُ المفاسد الحاصلة بسبب التشبُّه بأعداء الله في الظَّاهر وهذه كلماته في ذلك:

قال (1/93 ـ 94): «ومنها: أنَّ المخالفة في الهدي الظَّاهر توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضَّلال، والانعطاف على أهل الهدى والرِّضوان، وتحقُّق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين. وكلَّما كان القلب أتمَّ حياة وأعرف بالإسلام الَّذي هو الإسلام ـ لست أعني مجرَّد التَّوسُّم به ظاهرًا أو باطنًا بمجرَّد الاعتقادات من حيث الجملة ـ كان إحساسه بمفارقة اليهود والنَّصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبُعْده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشدّ.

ومنها: أنَّ مشاركتهم في الهدي الظَّاهر توجب الاختلاط الظَّاهر حتَّى يرتفع التَّميز ظاهرًا بين المهديِّين المرضيِّين وبين المغضوب عليهم والضَّالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية. هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظَّاهر إلاَّ مباحًا محضًا لو تجرَّد عن مشابهتهم، فأمَّا إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شُعبة من شُعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطَّن له».

ومن هذه المفاسد ما استنبطه من قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: 150]، فقد قال كما في (1/101): «فإنَّ الكافر إذا اتُّبع في شيء من أمره كان له في الحجَّة مثل ما كان أو قريب ممَّا كان لليهود من الحجَّة في القبلة».

ومنها ما جاء في قوله (1/325): «وأصل هذا التديُّن هو من التشبُّه بالكفَّار وإن لم يقصد التشبُّه بهم».

فقد تبيَّن لك أنَّ من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي: التشبُّه بالكافرين، كما أنَّ من أصل كلِّ خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدِّين، وإن لم يكن فيها تشبُّه بالكفَّار؛ فكيف إذا جمعت الوصفين؟».

ثمَّ تكلَّم رَحِمَهُ اللَّهُ على ما عرف بالشَّرع والعقل والحسِّ أنَّ الظَّاهر لا بدَّ أن يؤثِّر على الباطن كما يؤثِّر الباطن على الظَّاهر، وفي هذا أبلغ ردٍّ على الَّذين يتشبَّهون بأعداء الله في الظَّاهر ويزعمون أنَّهم لم يقصدوا التشبُّه بهم وأنَّهم متبرِّئون منهم في الباطن، ومن المناسب أن أذكُر هنا بحديث النَّبيِّ ﷺ الَّذي هو صريح في الدَّلالة على هذه القضيَّة، وهو قوله: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ ـ وفي لفظ ـ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»[17].

فانظر إلى هذا الأمر الهيِّن في أعين كثير المسلمين كيف أدَّى إلى هذه المفسدة العظيمة، فهل بعد هذا البيان النَّبوي تَطيبُ نفس المسلم بالتشبُّه بالكفَّار وهو يرى أنَّه لا يمكن أن يتأثَّر بهم، كيف وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يشبه الزِّيُّ الزِّيَّ حتَّى تُشبه القلوبُ القلوبَ»[18].

(17) رواه البخاري (717)، ومسلم (436)، واللَّفظ الآخر عند أحمد.

(18) رواه وكيع في «الزُّهد» (324)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (34548)، وهناد في «الزُّهد» (2/438).

يقول الشّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يقرِّر ارتباط الظّاهر بالباطن وأثر ذلك في مسألة التشبُّه: «هذا وقد يظنّ بعض النّاس أنّ هذه المخالفة إنّما هي أمر تعبُّدي محض، وليس كذلك؛ بل هو معقول المعنى واضح الحكمة. فقد تقرَّر عند العلماء المحقِّقين أنّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين الظّاهر والباطن، وأن للأوّل تأثيرًا في الآخر، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وإن كان ذلك ممّا قد لا يشعر به الإنسان في نفسه، ولكن قد يراه في غيره»[19].

ثمّ احتجَّ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث تسوية الصُّفوف وبحديث النّهي عن التّفرق في المجالس.

قال شيخ الإسلام (1/92 ـ 93): «وهذه الأمور الباطنة والظّاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإنّ ما يقوم بالقلب من الشُّعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظّاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً.

وقد بعث الله محمّدًا ﷺ بالحكمة الّتي هي سنّته، وهي الشِّرعة والمنهاج الّذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضّالِّين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظّاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور منها:

أنّ المشاركة في الهدي الظّاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس».

ومنه قوله (1/547 ـ 548): «وذلك أنّ الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التّفاعل بين الشّيئين المتشابهين، وكلّما كانت المشابهة أكثر؛ كان التّفاعل في الأخلاق والصِّفات أتمّ، حتّى يؤول الأمر إلى أن لا يتميَّز أحدهما عن الآخر إلاّ بالعين فقط، ولـمّا كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص، كان التّفاعل فيه أشد، ولأجل هذا الأصل وقع التّأثُّر والتّأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السّكينة في أهل الغنم، وصار الجمّالون والبغّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلاّبون، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق النّاس من المعاشرة والمؤالفة وقلّة النُّفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظّاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتّدريج الخفيّ...، والمشاركة في الهدي الظّاهر توجب أيضًا مناسبةً وائتلافًا، وإن بعُد المكان والزّمان، فهذا أيضًا أمر محسوس، فمشابهتهم في أعيادهم ـ ولو بالقليل ـ هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم الّتي هي ملعونة، وما كان مظنّة لفساد خفيٍّ غير منضبط؛ عُلِّق الحكم به وأدير التّحريم عليه، فنقول: مشابهتهم في الظّاهر سبب ومظنّة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسَّر أو يتعذَّر زواله بعد حصوله ولو تفطّن له، وكلّ ما كان سببًا إلى مثل هذا الفساد فإنّ الشّارع يحرِّمه كما دلّت عليه الأصول المقرَّرة».

(19) «جلباب المرأة المسلمة» (206).



ومنها ما ذكره (541/1): «وسرّ هذا الوجه: أنَّ المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية غالبًا، أو تفضي إليهما في الجملة، وليس في هذا المفضي مصلحة، وما أفضى إلى ذلك كان محرَّمًا؛ فالمشابهة محرَّمة».

الطَّريق الرَّابعة: انعقاد الإجماع على وجوب تميُّز أهل الذِّمَّة عن أهل الإسلام في الزيِّ والمظهر، وهو دليل على حرمة تشبُّه المسلم بهم في الظَّاهر؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى الالتباس وعدم التَّمييز.

فلمَّا كان الفرق بين المسلم وغيره مطلوبًا شرعًا بأن يترك الكافر التشبُّه بأهل الإسلام دلَّ ذلك بطريق الأولى أنَّه لا يجوز للمسلم أن يحدث التشبُّه بهم وأنَّه لا دخل للقصد في ذلك، ولهذا اشترط عُمَر على أهل الذمَّة أن يتميَّزوا بزيِّهم وأن لا يتشبَّهوا بأهل الإسلام في لباسهم وشعورهم وتابعه على ذلك الخلفاء واتَّفق عليه الفقهاء وأئمَّة المذاهب، وهذا كما يقول ابن تيمية (365/1): «ليتميَّز المسلم عن الكافر ولا يتشبَّه أحدهما بالآخر في الظَّاهر، ولم يرض عُمَر رضي الله عنه والمسلمون بأصل التمييز، بل بالتَّميز في عامَّة الهدي ... وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التَّميُّز عن الكفَّار ظاهرًا وترك التشبُّه بهم».

فيستدلُّ بما تقدَّم على أنَّ مفارقة المسلم للكافر في اللِّباس أمر مطلوب للشَّارع.

الطَّريق الخامسة: التَّمثيل بنظير هذه المسألة: وهو نهي النَّبيِّ ﷺ الرِّجال عن التشبُّه بالنِّساء والعكس، كما في قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء، والمتشبِّهات من النِّساء بالرِّجال»[20].

فكما أنَّه لا يقال هنا إنَّ الرَّجل إذا لبس لبسة المرأة وهو لا يقصد التشبُّه بها لم يكن مستحقًّا للَّعن، كذلك يقال في مسألتنا السَّالفة إنَّه لا التفات إلى القصد فيها؛ لأنَّ ترك التشبُّه الَّذي أمر الله تعالى به مطلوب ظاهرًا وباطنًا.

وأختم هذه المقالة بجواب إمامين من أئمَّة المسلمين أحدهما متقدِّم والثَّاني معاصر يتعلَّق بهذه المسألة.

قال الذَّهبي: «فإنْ قال قائلٌ: إنَّا لا نقصد التَّشبُّه بهم؟ فيقالُ له: نفس الموافقة والمشاركة لهم في أعيادهم ومواسمهم حرامٌ بدليل ما ثبت في الحديث الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه: «نهى عن الصَّلاة وقت طلوع الشَّمس ووقت غروبها». وقال: «إنَّها تَطلعُ بين قرنَي شيطان وحينئذ يسجُد لها الكُفَّارُ». والمصلِّي لا يقصدُ ذلك، إذ لو قصده كفر لكنَّ نفس الموافقة والمشاركة لهم في ذلك حرام»[21].

وقال ابن عثيمين رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 156]، بعد أن بيَّن أنَّه يستفاد منها النَّهي عن التشبُّه بالكفَّار:

«وهل يشترط في التشبُّه القصد أو لا يشترط؟

لا يشترط؛ لأنَّ الإنسان لو قصد التشبُّه لكان الخطر عظيمًا، لأنَّه لا يقصد التشبُّه بهم إلاَّ من مُلِئَ قلبه ـ أو كاد يُملأ ـ بمحبَّتهم وتعظيمهم، بل إنّ التشبُّه حاصل بصورة التشبُّه سواء قَصَدَ أم لم يَقْصِد...»[22].



(20) رواه البخاري (5885).

(21) «تشبه الخسيس» (ص30).

(22) «تفسير ابن عثيمين» (2/536).



إعداد: أسرة التحرير

واحة الإصلاح

درر من كلام شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم

* قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإذا تأمَّلتَ مقالاتِ أهل الباطل رأيتَهم قد كسَوْها من العبارات وتخيَّرُوا لها من الألفاظ الرَّائقة ما يُسرِعُ إلى قبوله كلُّ من ليس له بصيرةٌ نافذةٌ ـ وأكثر الخلق كذلك ـ حتَّى إنَّ الفجَّارَ ليُسَمُّون أعظمَ أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السَّمعُ ويميل إليها الطَّبعُ؛ فيُسمُّون أمَّ الخبائث أمَّ الأفراح، ويُسمُّون اللُّقمَةَ الملعونةَ (الحشيشة) لُقَيْمَةَ الذِّكر والفِكرِ الَّتي تثير العزم السَّاكن إلى أشرف الأماكن، ويُسمُّون مجالسَ الفجورِ والفسوق مجالسَ الطِّيبة».

[«الصَّواعق المُرسَلة» (2/ 437)]

وقال: «عُلَمَاء السُّوء جَلَسُوا على بَاب الجنَّة يدعونَ إليها النَّاسَ بأقوالهم ويدعونهم إلى النَّار بأفعالهم، فكُلَّما قَالَت أَقْوَالُهم للنَّاس: هلُمُّوا، قالتْ أفعالُهم: لا تسمعوا منْهُم؛ فلو كان مَا دعَوْا إليه حقًّا كانوا أوَّلَ المُستَجيبين له، فهم في الصُّورَة أدلاَّءُ وفي الحقيقةِ قُطَّاعُ الطُّرق».

[«الفوائد» (ص94)]

وقال: «ولقد دَعَوْنَا ـ نحن وغيرُنا ـ كثيرًا من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أنَّ المانعَ لهم ما يرَوْن عليه المُنتَسِبين إلى الإسلام ممَّن يُعَظِّمُهم الجُهَّال، من البدع والظُّلم، والفجور، والمَكر، والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشَّرع، فساءَ ظنُّهُم بالشَّرعِ وبمن جاء به، فالله طليبُ قُطَّاعِ طريقِ الله، وحسيبُهم!».

[«إغاثة اللَّهفان» (2/ 416)]

* قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قد يكونُ الرَّجلُ من أذكياء النَّاس وأَحدِّهم نظرًا، ويُعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أَبلَد النَّاس وأَضعَفِهم نظرًا ويَهديه لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنه، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ به.

فمن اتَّكلَ على نظره واستدلاله، أو عقله ومعرفته، خُذِلَ».

[«درء تعارض العقل والنَّقل» (9/ 34)]



وقال: «والنَّاس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أَبغَضَ بعضُهم بعضًا، وإن كانوا فعلوه بتراضيهم، قال طاوس: ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلاَّ تفرَّقا عن تَقالٍ (بغضاء)».

[«مجموع الفتاوى» (15/ 128)]



وقال: «فالاعتذارُ عن النَّفس بالباطل والجدالُ عنها لا يجوز، بل إنْ أذنب سرًّا بينه و بين الله اعترف لربِّه بذنبه، وخضع له بقلبه، وسأله مغفرته وتاب عليه».

[«المجموع» (14/ 447)]



وقال: «ضدُّ الانتصار العجز، وضدُّ الصَّبر الجَزَع؛ فلا خيرَ في العجز ولا في الجَزَع كما نجده في حال كثيرٍ من النَّاس، حتَّى بعض المتديِّنين إذا ظُلِموا أو رأَوْا منكرًا فلا هم ينتصرون ولا يصبرون؛ بل يعجزون ويجزعون».

[«المجموع» (16/ 38)]



وقال: «فإنَّ الإنسانَ إذا اتَّبع العدلَ نُصِرَ على خَصمِه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمُه».

[«درء التَّعارض» (8/ 409)]



وقال: «ومن أعظم أسبابِ ظهورِ الإيمانِ والدِّين، وبيَانِ حقيقةِ أنباءِ المرسلين ظهورُ المعارضِين لهم من أهلِ الإفْك».

[«الجواب الصَّحيح» (1/ 85)]





❁ أرسل إلينا الأستاذ الكريم عزِّي أحمد الشيرح من مدينة بوسعادة قصيدةً عن فلسطين الجريحة، عنوانُها: «ارفعوا الحصار»، ومطلعُها:

يا مسلمينَ يا عرب هل سرَّكم ما صـــار

تشـاهدون منـكـرًا وأنـتـم جـالـســـون

شوقي إلى صلاح الدِّينِ، بل لذي الفقار

تـرى عبـــاد اليوم اليومَ بالوراثة مسلمون

فنسأل اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ أن يرُدَّها للمسلمين، وأن يَخذُلَ اليهودَ المُعتَدِين، وجزى اللهُ الأستاذَ خيرًا على غَيرتِه على حُرُماتِ المسلمين.



❁ وممَّن تواصل معنا: الطَّالب جمال الدِّين عبد الهادي، فقد أبى إلاَّ أن يُشارِكَنا بأبياتٍ شعريَّةٍ في مدحِ رسول الله ﷺ، وحبِّه، جاء فيها:

صـلَّى عليكَ اللهُ مـا فَجْرٌ فَشَـا

وشدَا الحمـامُ ولاح لـيـلاً فَرقَدُ

صلَّى عليك اللهُ مـا غَيْثٌ هَمَـى

وجرى سحابٌ في البوادي يَرْعَدُ

صلَّى عليـك اللهُ مـا قَلْبٌ بكى

شوقًـا إليكَ وراح بـاسمكِ يَنشُدُ

نسأل اللهَ لنا وله مزيدًا من التَّوفيقِ والتَّسديدِ.

❁ ❁ ❁

❁ بارك اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في الأخ المفضال جلُّول صالحي من ولاية المسيلة، على حسن ظنِّه بإخوانه المشايخ القائمين على مجلَّة الإصلاح الغرَّاء، والتَّحذيرِ من أهل الجهل والبدعة.

فقد أتحفَنَا بقصيدة في التَّحذير من القنوات الرَّافضيَّةِ الشِّيعيَّةِ؛ جاء فيها:

نظمت ذي الأبيات تحذيرًا أتى

مـمَّن بثثن السمَّ فـاحذَرْ يـا فـتى

من تلكم القنوات التَّـالي جـلي

فـافهم كـلامـي واسـتـمِـعْ مقـالي

ونظم قصيدةً أخرى في الدِّفاع عن مشايخ الدَّعوة السَّلفيَّةِ المباركةِ، وخصَّ شيخَنَا محمَّد علي فركوس بالذِّكر والثَّناء، فقال:

أرسلتهـــا من المسيلـة سلامـا
دائمـــا لشيخنـــا ذا الطَّـاعـة
فـــركوس من أعلى له اللهُ قدرَه
وكـــان سنّيًّـا من الجمـــاعة

حفظ اللهُ شيوخَنا ودعاتَنا، وزادهم علمًا وتوفيقًا وثباتًا.

❋ ❋ ❋

❁ ولا ننسى أخانا الطَّيِّبَ: طيبة حميد بن عيسى من ولاية بومرداس الَّذي جادت قريحتُه بأبياتٍ شعريَّة في مدح أفضل الكلام وخير الحديث؛ القرآن الكريم، مطلعُها:

أَخْلُـو إذا نَـزَلت بي الأزمـاتُ
وتـدافعتْ في عيـني العـبـرات
بكتـــاب ربِّي تـالـــيـا آيـاتِـه
أشـدو بـه فـتـبـدد الـزَّفـرات

نفعنا اللهُ وإيَّاه بالقرآن العظيم، ووفَّقنا لتلاوته وتدبُّره والعمل به.

❋ ❋ ❋

أمَّا الحبيب فريد بالو من البويرة، فنشكره شكرًا جزيلاً على استمراره في التَّواصل معنا، وعلى حسن ظنِّه بإخوانه، وعلى دعواته الطَّيِّبات.

وأرسل هذه المرَّة أبياتًا في ذمِّ الرَّافضة، قال:

ما دينُ الرَّوافض بجنب دين اليهود
إلاَّ كوجهَيـْنِ لحمـلـةِ الـنُّـقـــود
غـيـر أنَّ الرَّوافض شرُّ الـوجهين
وذاك بـلا مـراء ومـن غـيـر مـين

نسأل اللهَ أن يقي البلادَ والعبادَ شرَّهم ومكرهم.

❋ ❋ ❋

❁ والشُّكر موصول إلى المُكرَّم أيُّوب زَرْوَالي على تواصلِه معنا وإعجابه الكبير بالمجلَّة واعترافه الصَّادق بجهود القائمين عليها، فاللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ بأنَّك أنت اللهُ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ أن تجعل لها القبولَ والثَّباتَ والدَّوامَ.

❋ ❋ ❋

❁ ونبشِّرُ الغيورَ أيُّوب هاشمي العلوي بأنَّ الرُّدودَ على البوروبي لا تزال مُنهَمِرَةً وستستمِرُّ إن شاء اللهُ تعالى، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

❋ ❋ ❋

❁ وما أجمل القصيدةَ الَّتي خطَّتْها يـراعُ المحبِّ ساعد زنيخري من ولاية الجلفة، ذكر فيها شيئًا من العقيدة السَّلفيَّة، ومدح أهلَ العلم الرَّبانيِّين، وحذَّرَ من المبتدعة الضَّالِّين، مَطلَعُها:

أمـا آن هـذا القلـبُ أن يـتـأَمَّـل
كـتـابًا عظـيمًا مُحـكَمًا ومُفصَّلا
كـلامُ بديعِ الكـون أُنزِلَ رحـمةً
لنا وشفـاءً من سمـاواتـه العـلا
أصدِّق أخبـارَ النَّبـيِّ جـمـيعَهـا
صـراطٌ ومـيـزانٌ ولـن أتـأوَّلا
وأؤمـن أنَّ اللهَ فـوق سـمـائـه
عَلِـيٌّ ألا سبحـانـه جلَّ وعـلا
وأثـبـت أنَّـه عـلى عرشه اسـتوى
بذا قال مـالكٌ لمن جـاء سائلا
ويـنـزل ربُّ النَّـاسِ في كلِّ ليـلة
يُجيبُ دعـاءَ السَّـائلين تَفضُّلا
وأثبتُ ما قد جـاءنـا من صفاتـه
ولستُ مُشبِّهًـا ولستُ مُـعطِّـلا

❋ ❋ ❋